الثورة العرابيـــة – رؤيـة جديدة

وقائعها – مفاهيمها – مذكرات قادتها – أبرز روادها

- وقائع الثورة
- المفاهيم الجديدة التى طرحتها
- مذكرات قادة الثورة
- أبرز رجالات الثورة

أحمد عرابى

عبد العال حلمى

على فهمى

محمد عبيد

على الروبى

عبد المنعم إبراهيم الجميعى

استاذ التاريخ الحديث و المعاصر

مقدمـــة

كتب الكثيرون من أجانب ومصريين عن الثورة العرابية ولكن القليل منهم من توخى الحقيقة المجردة عن الهوى وأزاح عنها الشكوك.

وهذا يؤكد ما ذكره ابن خلدون منذ مئات السنين عن المغالطات التى تحدث أحيانا من بعض المؤرخين حيث يقول: "إن المؤرخين والمفسرين كثيرا ما وقع لهم من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا دون أن يعرضوها على أصولها أو يقيسوها بأشباهها، أو يحكموا النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط".

فهناك من وصف الثورة العرابية بأنها فتنة عسكرية وفى مكان آخر بأنها "هوجه هوجاء" ونقطة سوداء وهناك من وصفها بالمهزلة والمأساة واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى قامت أقسام التاريخ بالجامعات المصرية بتصحيح هذا الوضع وإنصاف هذه الثورة وزعمائها بعيدا عن أى عواطف وطنية أو قومية فردت إليهم اعتبارهم على أساس أن هذه الثورة كانت أول حركة قومية قام بها المصريون بعد قرون عدة استسلموا فيها للغاصبين وهذه الدراسة التى اعتمدنا فيها على المصادر الأصيلة تروى قصة هذه الثورة، وتصفى وقائعها من كل ما شابها حتى برزت كحركة وطنية ووثبة من وثبات التحرر تحمل تبعاتها هذا الجندى الفلاح الذى تحنى له الهامات احتراما لجهاده، ووطنيته وإخلاصه فلا أحد ينكر وقفته أمام الخديو

فى قصر عابدين قائلا: " لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا، فو الله الذى لا إله إلا هو أننا لا نورث ولا نستعبد بعد هذا اليوم".

لقد كتب عرابى مذكراته تحت عنوان "كشف الستار عن سر الأسرار" أوضح فيها قصة مصر والمصريين الذين التفوا حوله خلال مواجهته لأعداء الوطن فتناول الخطوات الهامة التى قطعتها الثورة منذ مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر وحتى محاكمته هو ورفاقه، هذا إلى جانب الوثائق الرسمية التى تسجل لنا نضال رجال الثورة ضد الخديوى، وأسلوبهم فى الحشد السياسى وخططهم للدفاع عن البلاد ضد التدخل العسكرى الأجنبى، ومشاركة الأهالى فى صد المعتدين، وإلى جانب ذلك فقد أتت الثورة العرابية بأفكار جديدة حاولت فيها أن تنقل المجتمع المصرى إلى مرحلة الانطلاق نحو استرداد حقوقه ومعرفة ذاته فطرحت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له بهدف تحديد سلطة الخديو إيقاف سيطرته المطلقة، كما طرحت فكرة الجمهورية الديمقراطية كبديل عن الخديوية حتى يتم حكم البلاد بأيدى أبنائها.

والخلاصة ان ثورة عرابى كانت ثورة وطنية خالصة، وأن عرابى كان أمل الجماهير المظلومة فى استرداد حقوقها فهو إذن بطل قومى بكل ما تحمله الكلمة من معان ولا صحة لما تردد من شائعات وأفكار تحاول النيل من كفايته الثورية وحسن أدراكه للأمور السياسية فهو كما اتضح من الوثائق والمكاتبات الرسمية كان على دراية ووعى بنبض المصريين.

إن حكاية الثورة العرابية تثبت قدرة الشعب المصرى على التحدى ومواجهة الصعاب، وبالرغم من اخفاقها، فانها كانت مدرسة رائدة للوطنية المصرية تشكل خلالها الوعى الوطنى لأجيال متعددة من المصريين.

وهذه الدراسة تمثل رؤية جديدة لاتقتصر على وقائع الثورة فحسب بل شملت المفاهيم الجديدة التى طرحتها ومذكرات قادتها وأبرز روادها.

والله الموفق

د. عبد المنعم الجميعى

القاهرة – ميدان لبنان المهندسين

يناير ٢٠١٢

الفصل الأول

وقائع الثورة العرابية

(١) أحوال مصر قبيل قيام الثورة العرابية

كانت مصر فى عصر الخديو اسماعيل أبعد ما تكون عن الاستقرار فسياسته أدت إلى ارتباك أحوالها المالية ذلك أن إسراف الخديو المتزايد سواء فى محاولاته إرضاء السلطان العثمانى ورشوة رجاله كى يحصل على فرمان تصدره الدولة العثمانية بتعديل فرمان الوراثة ومنحه لقب خديو مصر أو فى محاولاته تعديل شروط حفر القناة، ثم ما أنفقه على افتتاح القناة من مبالغ تصل إلى مليون وأربعمائة ألف جنيه، ويضاف إلى ذلك فشل مشروعات الخديو الاقتصادية بعد توقف الحرب الأهلية الأمريكية وانخفاض أسعار القطن وما واكب ذلك من انتشار حالات الافلاس الأمر الذى جعل الخديو يستدين بشروط باهظة وهو ما فتح الباب على مصراعيه للأجانب وأدى إلى زيادة التدخل الأوربى فى شئون مصر.

كل هذه الأحداث أدت إلى اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى البلاد، وفى تلك الفترة وفد إليها الداعية الاسلامى الكبير جمال الدين الأفغانى فكانت الفرصة مهيأة له لكى ينشر أفكاره الثورية والاصلاحية فلعب دورا بارزا فى إيقاظ الوعى الوطنى واستطاع أن يبث مبادئه الاصلاحية فى نفوس المصريين فى وقت كانت جذوه الوطنية تتقد فى

نفوسهم، فأعطى دفعة قوية للحركة الوطنية المصرية، وبعث فى نفوس قادتها الأمل فى امكان تغيير الأوضاع فى مصر.

ولكى تنتشر روح الثورة بين أكبر عدد من الأهالى فى مصر شجع جمال الدين الأفغانى على إنشاء الصحف لتكوين رأى عام يقف في وجه الظلم والتدخل الأجنبى، وقد أدى هذا كله إلى تعبير بعض الوطنيين عن تذمرهم مما تعانيه البلاد، فألفوا فى إبريل عام ١٨٧٩ جمعية سرية أطلق عليها جمعية حلوان بهدف الحد من سيطرة الأجانب ونفوذهم فى الحكومة، وقد ضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم.

وإذا كانت أحوال البلاد بصفة عامة سيئة، فأن أحوال الجيش بصفة خاصة كانت أكثر سوءا، فالأجانب خصوصا الشراكسة كانت لهم الأولوية فى الترقى على المصريين، ويستأثرون بالنفوذ فى كافة أسلحة الجيش وقيادته رغم افتقارهم إلى الخبرة والكفاية فى التدريب، وقد ظهر ذلك واضحا فى الحملة التى أرسلها الخديو اسماعيل إلى الحبشة لتوسيع أملاك مصر الأفريقية هناك، ونتيجة لما أحس به المصريون فى أثناء هذه الحملة من سوء معاملة الضباط الشراكسة لهم، وضياع دماء المصريين رخيصة بسبب أخطاء هؤلاء القادة فى إدارة العمليات الحربية انتاب الضباط الوطنيين السخط، وزاد من تذمرهم أن الخديو اسماعيل لم يحاسب الضباط الشراكسة على إهمالهم الذى أدى إلى هزيمة الجيش المصرى فى الحبشة، وقد دفع ذلك الضباط الوطنيين إلى تأليف جمعية سرية هدفها التخلص من الطبقة الجركسية المسيطرة على أمور الجيش، وفتح باب الترقى أمام المصريين وعزل الخديو اسماعيل

وتوليه البرنس حليم مكانه، وقد عرفت هذه الجمعية السرية باسم جمعية مصر الفتاة ويبدو أنها أسست خلال السنوات من ١٨٧٦ إلى سنة ١٨٧٨، وقد أسس هذه الجمعية على الروبى الذى كان يعمل رئيسا لفرع المهمات خلال الحملة على الحبشة ثم انضم أحمد عرابى إلى هذه الجمعية ولم يلبث أن أصبح عضوا بارزا فيها، وكان لسان حال هذه الجمعية جريدة "أبو نظارة" التى كان يحررها (يعقوب صنوع) وقد اتصل العسكريون فى جمعية مصر الفتاة بجمعية حلوان لتوحيد الصفوف والبحث عن الطرق الموصلة لإصلاح البلاد.

ولما قامت وزارة نوبار فى عام ١٨٧٩ بإحالة ألفين وخمسين ضابطا ومنهم أحمد عرابى إلى الاستيداع توفيرا للنفقات دون أن تصرف لهم شيئا من رواتبهم المتأخرة تذمر الضباط وكتبوا عريضتين أحداها لمجلس النظار، والأخرى للخديو أعربوا فيهما عن سوء أحوالهم لعدم صرف رواتبهم مدة ثمانية عشرة شهرا، واستيائهم الشديد بسبب ذلك، كما عقد حوالى ٦٠٠ ضابط اجتماعا فى ثكنات الجيش بالعباسية يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ خرجوا على أثره فى مظاهرة عسكرية اشترك فيها طلاب المدارس العسكرية، وبعض الجنود وثلاثة من أعضاء مجلس شورى النواب وذهبوا إلى مقر وزارة المالية يتقدمهم البكباشى لطيف سليم وتربصوا لنوبار باشا وويلسون عند خروجهما من وزارة المالية وقابلوهما بالأهانة والاعتداء، وسجنوهما فى مبنى نظارة المالية، ولما أبلغ الخديو بثورة الضباط توجه إلى مكان الحادث، ونجح فى تهدئة الموقف ولولا تدخله فى الوقت المناسب لتفاقمت الأزمة، وقد

ترتب على هذه المظاهرة أن سقطت الوزارة الأوربية فى ١٩ فبراير ١٨٧٩ وفيها تخلص الخديو من نوبار.

وهكذا أثبتت مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ قدرة رجال الجيش على تسيير الأحداث وامكانية وقف تغلغل النفوذ الأجنبى فى البلاد والوقوف فى وجه المظالم التى يتعرضون لها.

وأسفر الاتصال بين تنظيم الجيش وجمعية حلوان عن تأليف الحزب الوطنى. وقد نشر أعضاء هذا الحزب عدة منشورات أشاروا فيها على الحكومة بمراعاة مصالح البلاد، واعترضوا على الدين الممتاز واختصاصه، ومع أن الخديو اسماعيل لم يكن مستريحا لأفكار هذا الحزب إلا أنه اضطر إلى غض الطرف عنه بسبب الشعور المعادى من جانب الأوربيين للخديو.

ولما ضاقت الدول الأوربية بسياسة الخديو اسماعيل حاولت اقناعه بالتنازل عن العرش، ولكنه ماطل فى الرد على طلبهم بحجة إحالة المسألة على السلطان وانتظار أوامره عندئذ ضغطت الدول الأوربية على السلطان فى الاستانة لكى يصدر أمرا بعزل اسماعيل فوافق على طلبهم، وبذلك انتهى حكم اسماعيل بعد أن رزحت مصر خلاله تحت وطأة الظلم والاستبداد، وتولى توفيق الحكم فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩ فى جو مشحون بالمصاعب فالخزانة خاوية، والجيش مختل النظام، والأهالى ساخطون لما أصابهم من مظالم يضاف إلى ذلك أن الخديو توفيق لم يكن بالرجل الذى يستطيع مواجهة كل هذه المخاطر.

(٢) حادث قصر النيل (أول فبراير ١٨٨١)

ولما كانت الفروق الطبقية والميل إلى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش نظرا لتعصب عثمان رفقى ناظر الجهادية لأبناء جلدته من الشراكسة واستخفافه بالعنصر الوطنى فكانت الوظائف الهامة والرتب والنياشين تعطى للضباط الشراكسة وغيرهم، بينما حرم منها الضباط المصريون كما أن عثمان رفقى أخرج معظم الضباط المصريين فى الجيش إلى المعاش قبل السن القانونى كما كلف بعضهم بأعمال بعيدة عن الجندية مثل حفر الترع ومباشرة الأعمال الزراعية فى أراضى الخديو يضاف إلى ذلك أنه سن قانون للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الترقى من تحت السلاح إلى رتبة الضباط مما يعوق ترقى الجنود المصريين العاملين فى الآلايات تحت السلاح، ويجعلهم أنفارا تحت تسلط الضباط من الأتراك والشراكسة.

وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيين إلى التذمر، فكتبوا عريضة وقعوا عليها وسلمها كل من "أحمد عرابى كولونيل الفرقة الرابعة للبيادة، وعبد العال بك حشيش كولونيل الفرقة السادسة للبيادة" إلى رياض باشا رئيس مجلس النظار فى يناير ١٨٨١ يطالبون فيها بوقف المحسوبية والظلم، وأن يكون وزير الحربية مصريا.

ولما أحس رياض بخطورة الموقف قام باستدعاء عرابى وعبد العال حشيش، فحضرا يصحبهما " على بك فهمى كولونيل الفرقة الأولى من البيادة" فأخذ فى توجيه النصائح لهم موضحا خطورة ما يترتب عليه عرض شكواهم من مخاطر، ولكن الضباط تمسكوا بموقفهم فعرض رياض باشا

المسألة على مجلس النظار الذى عقد بقصر عابدين تحت رئاسة الخديو، فقرر المجلس القبض على الضباط الثلاثة وإحالتهم إلى مجلس عسكرى غير عادى يشكل لمحاكمتهم بمقتضى القوانين العسكرية وأخفى الأمر على الضباط.

ولما استدعى الضباط الثلاثة لوزارة الحربية بحجة المداولة فى بعض الترتيبات التى كانت تعد لموكب كان سيصاحب احدى الأميرات بمناسبة زواجها أحسوا بأن هناك مكيدة مبيتة لهم، فأخذوا حذرهم ، وقبل انتقالهم إلى الوزارة تركوا تعليمات لضباطهم بالتوجه إلى مقر الوزارة لانقاذهم إذا لم يعودوا فى ظرف ساعتين.

وقد تحقق ما توقعه القادة الثلاثة فعند وصولهم إلى مبنى الوزارة تم اعتقالهم ثم انعقد مجلس فى وزارة الحربية لمحاكمتهم، وتحددت المحاكمة فى اليوم نفسه (أول فبراير ١٨٨١) الساعة الثانية عشر إلا ربعا وقد عقد هذا المجلس تحت رئاسة الجنرال (استون) وعضوية كل من ابراهيم باشا ولارمى باشا وبلونز باشا واللواء خورشيد عاكف باشا واللواء محمد رضا باشا واللواء متقاعد نجم الدين باشا، وبينما كانت جلسة المحاكمة منعقدة أقتحمت الفرقة الأولى مشاة بقيادة البكباشى محمد عبيد مبنى الوزارة، وأحدثوا فيها ضجة ودخلوا الحجرة التى كانت تجرى فيها المحاكمة، وعاملوا عثمان رفقى وزير الحربية معاملة سيئة. وكادوا يفتكون به لولا أنه هرب من احدى النوافذ واختفى فى احد المخازن، كما دمر الضباط الوطنيين بعض أثاث الوزارة وأطلقوا سراح الضباط المحجوزين بالقوة ثم ساروا بعد ذلك فى

مظاهرة عسكرية إلى قصر الخديو مطالبين بعزل وزير الحربية والنظر فى شكواهم الخاصة بوضعهم على قدم المساواة مع الضباط الشراكسة فى الترقية، ولما أحس الخديو بعدم جدوى المقاومة خصوصا وأنه لم يكن لديه فى الجيش فرقة يمكن الاعتماد عليها رضخ للأمر الواقع وعزل عثمان رفقى وبذلك نجح العرابيون فى فرض إرادتهم، وخضع الخديو لمطالبهم، وتأكدت زعامة عرابى على الجيش بعد أن نجح فى بث روح التضامن والإقدام بين الضباط مما كان له أكبر الأثر فى تطور الأحداث، فقد أحس الخديو بخطورة الموقف فحاول تسكينه واكتساب ثقة العسكريين فعين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية، كما دعا الضباط من رتبة البكباشى إلى رتبة فريق، وألقى فيهم خطابا فى حضور وزير الحربية أوضح فيه حبه للعسكرية وعفوه عما حدث فى قصر النيل، ونصحهم بأهمية التمسك بقوانين الجهادية، وعدم الخروج عن حدود وظائفهم والاجتهاد فى أداء واجباتهم العسكرية، ولما انتهى الاجتماع أعطى الخديو للبارودى التعليمات بالتقليل من نفوذ عرابى وزملائه، ولكن البارودى لم ينفذ تعليمات الخديو بل قام بالاتحاد الكامل مع العرابيين، وطالب بزيادة مرتبات الضباط والعساكر لعدم تناسبها مع لوازم المعيشة، فأجيب إلى طلبه كما أعلنت قوانين عادلة للجيش تعد بالمساواة للجميع.

ورغم هذا النجاح السريع الذى حققه الضباط الوطنيين فانهم لم يطمئنوا إلى الخديو خصوصا بعد انتشار الشائعات بأنه ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص منهم نتيجة لما أفقدوه له من هيبة، وأن رياض باشا أيضا

ينتظر أى فرصة للانتقام منهم لذلك زادوا من احتياطات الأمن الخاصة منهم وبوجه خاص بعد الدسائس والمؤامرات التى تعرضوا لها.

ولما كان الشعب المصرى يرزح تحت المظالم التى لا تقل عن المظالم التى كان يعانى منها رجال الجيش فقد بارك حركة الضباط حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه، وتقديرا لآماله فى التخلص من ربقة التدخل الأجنبى، كما أصبح عرابى وزملاؤه موضع إعجاب الأمة وتقديرها وتردد اسمه على أفواه الناس كأول فلاح مصرى يقف فى وجه الطغيان ويعبر عن آمال الشعب وآلامه فلم تمض عدة أسابيع على حادث قصر النيل حتى أنهالت عرائض الفلاحين من جميع أنحاء البلاد على عرابى يبثون إليه شكواهم وما يقع عليهم من مظالم ففتح عرابى قلبه للجميع كما وجدت الطبقة المصرية المثقفة والتى تنشد الحياة الدستورية أنها لو اتحدت مع الحركة الوطنية فى الجيش لعجلت بوضع حد فاصل لشقاء البلاد ولأنقذت الوطن من التغلغل الأجنبى، ونتيجة لتزايد شعبية عرابى أشار عليه عبد الله النديم الذى انضم إلى العسكريين ووقف بجانبهم بطبع منشور يطلب فيه من الشعب أن ينيبه –أى عرابى – فى المطالبة بحقوقه والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد، فوافق عرابى وقام النديم بتوزيع هذا المنشور فى كافة أنحاء البلاد كما أخذ يبث الأفكار الثورية بين مشايخ العربان وعمد البلاد وأعيانها وعلمائها وتجارها وكافة الأهالى استجلابا لمساعدتهم ثم أخذ فى جمع التوقيعات منهم ودعاهم إلى نصرة عرابى، وأخذ يعلمهم فوائد الحرية ومعانى الدستور.

وبعد أن جمع النديم توقيعات الأهالى عاد إلى القاهرة، ومعه التوكيلات التى وقع عليها الناس بانابة عرابى فى الدفاع عن حقوقهم ففرح بها عرابى وشدت من أزره، وكان لها أثر كبيرا فى تقوية العزائم وعلى أثر ذلك جاءت الوفود من الأقاليم إلى القاهرة لمبايعة عرابى على تخليصهم من الظلم الذى ضيق عليهم حياتهم وأفسدها واستقبل عرابى هذه الوفود فى منزله الذى كان يمتلأ بالناس يوميا، وأخذ ينشر آراءه بينهم، وبذلك تضامن الشعب مع الجيش من أجل الإصلاح وأصبح عرابى نائبا عن الأمة المصرية يتحدث باسمها ويدافع عن حقوقها.

(٣) مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ ونتائجها

لما برزت خطورة العرابيين وخصوصا بعد أن تكاتف الشعب معهم أحس الخديو بالخطر على مركزه، ورأى ضرورة السيطرة على الجيش فأقال البارودى من نظارة الحربية فى ١٣ أغسطس ١٨٨١، وعين مكانه صهره داود يكن وطلب منه الحد من نشاط الوطنيين داخل صفوف الجيش فقام وزير الحربية الجديد بفرض الرقابة على العرابيين وملاحقتهم بالجواسيس، كما حاول تشتيت شملهم فأصدر أوامره بنقل الفرقة الثالثة المشاة التى يقودها عرابى من القاهرة إلى الاسكندرية والآلاى السودانى الذى يقوده عبد العال حلمى إلى دمياط، ونظرا للخطورة التى تترتب على تشتيت شمل الجيش توقف عرابى وصاحبه عن إطاعة الأوامر وأرسل خطابا إلى وزير الحربية وضح له فيه أن صدور الأومر بنقله يعنى تشتيت القوات العسكرية بغرض

الانتقام منه وأنه وزملاءه لا يستطيعون تسليم أنفسهم للموت، ولذلك ستحتشد قواته فى ميدان عابدين الساعة الثالثة والنصف من مساء يوم ٩ سبتمبر لعرض مطالبها، وأنهى عرابى خطابه بأن وزير الحربية لن يجد أى فرقة عسكرية تتقدم لإطاعة أوامره.

وكان نبأ احتشاد العرابيين بقواتهم فى عابدين مفاجأة للخديو حيث كان قبل الحادث بيوم فى زيارة لطنطا مع بعض وزرائه، ولم يتوقع تطور الموقف إلى هذا الحد.

ولما علم الخديو بتصميم العرابيين على التجمع أمام قصر عابدين أخذ رأى المستر (كولفن) Colvin المراقب المالى الانجليزى فيما يجب عمله فنصحه باستدعاء القوات الموالية له، واستدعاء البوليس الحربى إلى ميدان عابدين وقيادة هذه القوات واعتقال عرابى عند اقترابه من الميدان، ولكن الخديو رفض النصيحة على أساس ان المدفعية وسلاح الفرسان مع عرابى، وقد يطلقون النار، ولكن المستر (كوكسن) شجعه وأوضح له بأنه إذا لم تكن لديه الشجاعة لاتخاذ المبادرة فستكون العواقب وخيمة.

وقد ذهب الخديو مع المستر (كولفن) وبعض الوزراء والضباط الموالين له إلى قصر عابدين حيث أقسمت له فرقة الحراسة يمين الولاء ثم ذهب للقلعة حيث حدث نفس الشئ، ولكن اتضح لهم أن الفرقة الموجودة بالقلعة كانت تعطى أشارات لفرقة عرابى فى العباسية قبل وصولهم وحاول الخديو الذهاب إلى ثكنات العباسية، ولكن الساعة كانت قد اقتربت من الثالثة والنصف وهو الموعد الذى حدده عرابى للاحتشاد فى عابدين فحثه (كولفن)

على الرجوع إلى ميدان عابدين آخذا معه فرقة القلعة، وعند وصوله للميدان يضع نفسه على رأس تلك الفرقة وفرقة الحراسة والبوليس الحربى، ولكن الخديو ذهب إلى العباسية، وكانت الساعة حوالى الرابعة فوجد أن عرابى سار بفرقته إلى ميدان عابدين فتتبعوه ودخل الخديو القصر من باب جانبى، وتجمعت قوات العرابيين فى ميدان عابدين فى مظاهرة عسكرية قوامها أربعة آلاف ضابط وجندى تصحبهم فرسانهم ومدفعياتهم على النحو التالى: ثلاثة فرق مشاة فى الجوانب الأربعة للميدان، والمدفعية وقوة الفرسان ومجموعة من الضباط حول عرابى فى الوسط، كما ازدحمت ساحة عابدين بجماهير المواطنين، وامتلأت نوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحها بالمتفرجين.

ونزل الخديو من القصر وتقدم إلى الميدان بناء على نصيحة المستر (كولفن) وكان عرابى راكبا حصانه فطلب منه الخديو أن ينزل من على جواده ففعل وتقدم عرابى مع بعض ضباطه إلى الخديو الذى طلب منه أن يغمد سيفه فأطاع عرابى الأمر، وسأل الخديو عرابى عن أسباب حضوره بالجيش فأجاب عرابى" جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الأمة وطلبات الجيش وكلها طلبات عادلة" فسأل الخديو " وما هى هذه الطلبات"؟ فأجاب عرابى بأنها " إسقاط وزارة رياض المستبدة وتشكيل مجلس للنواب على النسق الأوربى وزيادة عدد الجيش إلى القدر المعين فى الفرمانات السلطانية والتصديق على القوانين العسكرية" فقال له الخديو " كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد

احساننا" فرد عرابى " لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا، فوالله الذى لا إله إلا هو أننا لا نورث ولا نستعبد بعد هذا اليوم".

ولما أوضح الخديو لعرابى ان مطالبه ليست من اختصاص رجال الجيش كان رد عرابى " لست أطلبه وأنا عسكرى الصفة بل أنا نائب هذه الأمة الواقفة"، وهذا يعنى أن عرابى وقف فى ساحة عابدين مستندا فى تقديم مطالبه إلى الخديو على التوكيلات التى أرسلها له الشعب ليكون متحدثا باسمه، وممثلا للأمة المصرية كلها ينطق باسمها ويعبر عن إرادتها عن طريق الجيش الذى اجتمع ليفرض بقوة السلاح مطالب الشعب المصرى فى الحرية والعدالة على الخديو، ثم تطورت مطالب العرابيين وهى المساواة بين الضباط المصريين والشراكسة، وتغيير شكل الحكومة من نظام استبدادى إلى نظام ستورى.

ولما تحرج الموقف بالنسبة للخديو وخصوصا بعد أن رفض عرابى أن تترك قواته ساحة عابدين إلا بعد أن تجاب مطالبه نصح المستر (كولفن) الخديو بالعودة إلى القصر، وأن يترك له مهمة التحدث مع عرابى وزملائه ففعل، وقام (كولفن) بشرح خطورة الموقف للعرابيين، وأخذ يحثهم على سحب قواتهم، ولما لم ينجح فى محاولاته اقترح على الخديو أن يقوم بإبلاغ الضباط أنه على اتصال بالباب العالى لعرض مطالبهم، ويجب عليهم التفرق حتى يصل الرد من القسطنطينية، ووافق الخديو على الاقتراح وذهب القنصل الانجليزى المستر (كوكسن) واخبر عرابى بذلك فكان رد عرابى أنه سيبقى وقواته فى الميدان إلى أن يصل الرد، وأنهم لن يعترفوا بالخديو حتى يصل

مندوب من الباب العالى لتسوية هذه المسائل، فأبلغ (كوكسن) الخديو بالأمر، وأوضح له أن الطلب الذى يعطيه الضباط أهمية حقيقية هو عزل الوزارة، وبعد اجتماع قصير بين الخديو ورياض خول الخديو المستر (كوكسن) أخبار عرابى بأنه وافق على تغيير الوزارة على أن تبقى النقاط الأخرى التى طلبها الضباط معلقة إلى أن يصل الرد من الباب العالى، وقد وافق عرابى على ذلك وعزل رياض باشا، ولما عرض على عرابى تعيين حيدر باشا أو اسماعيل أيوب رئيسا للوزارة رفض كليهما، وطلب تعيين شريف باشا لثقة العسكريين فيه، فوافق الخديو، ودعا شريف إلى تأليف وزارة جديدة فقبلها بعد أن اشترط نقل الفرق العسكرية التى اشتركت فى المظاهرة خارج القاهرة، وقد وافق العرابيون على طلب شريف، وغادر عرابى وجنوده ساحة عابدين تصحبهم نشوة النصر.

ولما شرع شريف باشا فى اختيار النظار طلب منه العسكريون تعيين محمود سامى البارودى ناظرا للجهادية فلم يرق له طلبهم، وأخبرهم بأنه " ترك الجهادية لنفسه"، لكنهم أصروا على طلبهم مما اضطر شريف باشا إلى اختياره.

وهكذا انتصرت الأمة بواسطة جيشها، ونالت مطلبها بعد أن قبل الخديو مطالب العرابيين.

ولكى ينقذ الخديو موقفه المتدهور أرسل إلى السلطان العثمانى يبلغه بتطورات الموقف وتعاظم نفوذ العرابيين، ويطلب منه "إرسال قوة عسكرية يبلغ تعدادها عشرين طابورا على وجه السرعة على أن تكون قيادتها منوطة

به خاصة، ولكن السلطان أهمل طلبه خصوصا وان انجلترا حاولت منع تركيا من استغلال الموقف للتدخل فى شئون مصر فطلبت من مندوبها فى الآستانة اقناع السلطان بذلك، وقد استعاض السلطان عن إرسال قوات عسكرية بارسال بعثة لتقصى الحقائق فى مصر برئاسة على نظامى باشا.

وقد وصل الوفد إلى القاهرة فى ٦ أكتوبر ١٨٨١، وزار آلاى قصر النيل الذى كان تحت قيادة طلبة عصمت، وألقى نظامى باشا خطابه بالتركية ترجمه البارودى للضباط، وردا على الخطاب أعلن طلبة عصمت أنه نيابة عن الضباط والجنود يعرب عن اعترافه بسيادة السلطان على مصر وتأييده لسلطة الخديو.

وقد غادر الوفد القاهرة إلى الاسكندرية فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١.

والجدير بالذكر أن انجلترا وفرنسا استاءتا من حضور الوفد العثمانى إلى مصر على غير اتفاق معهما واعتبرتاه تدخل فى شئون مصر الداخلية، كما انتهز المستر (أدوارد مالت) القنصل الانجليزى الفرصة لكى تبسط بلاده نفوذها على مصر فطلب من حكومته إرسال بارجة حربية إلى مياة الاسكندرية فأجابته إلى طلبه كما اتفقت الحكومة الفرنسية على أن ترسل هى الأخرى بارجة على أن تغادر البارجتان الاسكندرية حين مبارحة الوفد العثمانى مصر، وفعلا حدث ذلك حيث غادرت البارجتان ميناء الاسكندرية فى ٢٠ اكتوبر ١٨٨٢ أى غداة سفر الوفد العثمانى.

ومما سبق يتضح أن موقف الدولة العثمانية كان قائما على أهمية تثبيت السيادة التركية على مصر دون الاهتمام بمصالح مصر ومصيرها.

(٤) العرابيون ووزارة شريف باشا

استقرت الأمور فى البلاد وخصوصا بعد أن وافق العسكريون على طلب شريف باشا بالتنحى عن مسرح السياسة والعودة إلى معسكراتهم فنقل آلاى عبد العال حلمى إلى دمياط، وآلاى عرابى إلى رأس الوادى بالشرقية وذلك استجابة لطلب شريف باشا.

ومع أن شريف حاول تشتيت شمل الجيش حتى يبعده عن التدخل فى السياسة ويزيل الصفة التى اكتسبها عرابى بأنه نائب عن الأمة فقد خاب تقديره لأن خروج عرابى من القاهرة إلى رأس الوادى لم يفقده شعبيته، ولم يبعده عن قيادة الحركة الوطنية فقد تجمع حوله الفلاحون وتردد عليه الأهالى والعربان الذين وجدوا فيه متنفسا لآمالهم والمدافع عن حقوقهم، وتسابق أعيان الشرقية وفلاحوها للاحتفاء به ، وكانت مواكب عرابى كالمظاهرات الوطنية، كما أصبحت الشرقية مجالا خصبا لنشر المبادئ الوطنية فى نفوس عمد البلاد ومشايخ العربان.

ولم يكد شريف باشا يسمع بأخبار الاستقبالات الشعبية التى تحيط بعرابى والعرابيين فى الشرقية حتى ضاق ذرعا وازداد حنقا على عرابى فاستدعاه إلى القاهرة ليبعده عن الفلاحين، وحتى يتيسر له- كما يذكر – "أعطاؤه النصائح فى كل وقت" ونتيجة لإصرار البارودى واستحسان باقى النظار لرأيه اضطر شريف إلى تعيين عرابى وكيلا لنظارة الجهادية، كما عرض عليه رتبة اللواء، ولكنه رفضها حتى يبقى الآلاى فى عهدته.

وهكذا سار العرابيون من نصر إلى نصر، يحدوهم الأمل فى تحرير بلادهم من ربقة الظلم الداخلى والتدخل الخارجى.

وبعد أن تمت انتخابات مجلس النواب افتتح الخديو المجلس بالقاء خطبة العرش.

وعين سلطان باشا رئيسا للمجلس لمدة خمس سنوات ابتداء من ٧ فبراير ١٨٨٢، وسارت حكومة شريف تؤدى وظيفتها بطريقة ديمقراطية فأفسحت صدرها للنقد والملاحظة، وكادت تستقر لها الأمور وتتمكن الحياة الدستورية من السير فى الطريق السليم لولا أن ذلك لم يوافق هوى كل من انجلترا وفرنسا لأن مصر حتى أصبحت فى يد أبنائها لابد أن تعيد النظر فى الامتيازات الأجنبية، وتوقف مد التدخل الأوربى فراحت الدولتان تدبران لافساد الموقف فافتعلت سلسلة من الأزمات لعرقلة الأمور، وبدأ تدخلهما يظهر بصورة سافرة، فلما اجتمع مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ بدأ فى ترتيب لائحته الداخلية ومناقشتها، وفى أثناء مناقشة اللائحة وقع خلاف بين النواب والوزراء حول سلطة المجلس فى إقرار الميزانية، وأثناء بحث هذا الخلاف طلب المراقبان الماليان الحد من سلطة البرلمان فى تقرير الميزانية بحجة ان ذلك من اختصاصها وأن ميول المجلس عدائية نحو الجانب الأوربى فى الحكومة، ولبث روح انشقاق بين نواب الأمة والخديو أرسلت كل من انجلترا وفرنسا فى ٧ يناير ١٨٨٢ مذكرة مشتركة إلى الخديو تتضمن تأييد الدولتين له بكل الوسائل للتغلب على الصعوبات التى تواجهه حيث انهما اتفقتا على بذل الجهود المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل

الداخلية والخارجية التى تهدد النظام القائم فى مصر، وقد قوبلت هذه المذكرة بثورة عارمة أدت إلى تكاتف الجيش والوطنيين ومجلس النواب ضد انجلترا وفرنسا ومع أن الحكومة رفضت المذكرة فإن الخديو قبلها بالشكر والعرفان مما كان له ابعد الأثر فى تطور الحوادث فقد نجحت انجلترا وفرنسا بذلك فى زيادة الهوة والانقسام بين العرابيين والخديو ولم يكتفيا بذلك بل أرسلتا مذكرة مشتركة أخرى فى ١٨٨٢/١/٢٦ تؤيدان ما طلبه المراقبان الماليان فى أن مجلس النواب ليس من حقه الاقتراع على الميزانية.

ولما أحس شريف باشا بخطورة الموقف، والضغط الأوربى تقدم بقانون تأسيس المجلس الذى تضمن منع النواب من الاشراف على الميزانية مما آثار ثائرة أعضاء المجلس، فرفضوا هذا القانون وأصروا على ضرورة إشراف المجلس على الميزانية وأخذ الأعراض عن شريف يتمكن من نفوسهم، وطالب البارودى النواب بضرورة الاطلاع على الميزانية، ومناقشتها وعزل شريف باشا إذا لم يوافق على ذلك.

والواضح أنه كان يوجد داخل مجلس النواب اتجاهان احدهما دستورى معتدل وعلى رأسه شريف باشا والآخر دستورى ثورى يستند على العسكريين.

ولما زاد التدخل الأوربى فى شئون مصر برز دور العناصر الدستورية الثورية فحين تدخل قنصلا انجلترا وفرنسا فى الأمر رفض مجلس النواب تدخلهما، وأرسل النواب لجنة إلى الخديو مطالبين بالاشراف على

الميزانية او استعفاء الوزارة فثارت ثائرة شريف باشا واضطر إلى الاستقالة مما أدى إلى انتقال مقاليد الأمور إلى الحزب العسكرى وأنصاره.

وهكذا تطورت الأمور إلى التحدى الواضح بين العناصر الوطنية التى تريد وقف النفوذ الأجنبى وبين الدول الأوربية التى لم تكن تسمح بقبول الوضع الذى يمكن الوطنيين من إدارة شئون بلادهم.

(٥) وزارة البارودى وانتصار إرادة الثورة

وبعد استقالة وزارة شريف باشا جمع البارودى الضباط والنواب فى قشلاق عابدين، وطلب منهم تعيينه رئيسا لمجلس النظار خلفا لشريف، فذهب النواب إلى الخديو وطالبوا بتعيينه فوافق على طلبهم، وكلف محمود سامى البارودى بتشكيل الوزارة على أن تحال إليه نظارة الداخلية كما أمر الخديو بتعيين عرابى وزيرا للحربية فى الوزارة الجديدة.

وقد استهلت وزارة البارودى عهدها بأن جعلت من حق مجلس النواب النظر فى الميزانية والاشراف على أحوال البلاد المالية مع تعهدها باحترام الارتباطات الدولية والالتزامات المالية المرتبطة بالديون، كما كونت مجلس شورى الحكومة لرفع الاستبداد الإدارى عن الشعب وللمساعدة فى تجهيز القوانين واللوائح الإدارية وهكذا استطاع العرابيون السيطرة على زمام الموقف والحد من سلطة الخديو الذى أصحب لا حول له ولا قوة وسارت الحركة الوطنية يحدوها الرغبة فى السير بالبلاد إلى بر الأمان، ولكن تطورات الأحداث أعاقت حركتهم.

(٦) مؤامرة الجراكسة

وقام عرابى بتمصير الجيش بإحالة عدد كبير من الضباط الأتراك والشراكسة على الاستيداع وإصدار قوانين فى صالح الوطنيين، وترقية حوالى ٥٦٠ ضابطا منهم، فأحدث ذلك ضجر بين الجراكسة وزاد من ضجرهم ان عرابى ادخلهم ضمن تشكيل الآلاى المقترح إرساله إلى السودان للحد من انتشار الثورة المهدية فتآمروا على اغتيال زعماء الثورة وقد علم عرابى بهذه المؤامرة عن طريق شخص يدعى (راشد نور) فقبض على المتآمرين ومنهم (عثمان رفقى) وعقد لهم مجلسا عسكريا برئاسة على الروبى لمحاكمتهم وقد أصدر هذا المجلس أحكامه بنفى أربعين من المتمهين إلى أقاصى السودان مدى الحياة وتجريدهم من الرتب العسكرية والنياشين ولكن القنصلين الانجليزى والفرنسى أوعزا إلى الخديو بعدم التصديق على هذه الأحكام، فوافق الخديو على طلب القنصلين بحجة أن الأحكام صادرة على الأربعين ضابط على سياق واحد ولا يصح أن تكون جنحة الجميع مثل بعضهم بل لابد من التفاوت وأصدر أمرا بتخفيف العقوبة إلى مغادرة المتهمين للبلاد، والغاء بقية الأحكام مما أثار حنق العرابيين على الخديو إلى حد أن البارودى دخل ثائرا عليه، وطلب منه إصدار أمر يقضى بنفى المحكوم عليهم، ومحو أسمائهم من دفاتر العسكرية وإلا فإنه لن يكون " آمنا على نفسه لا على مسند حكومته، ولا على حياة الأوربيين الموجودين بالقطر المصرى" كما هدده بأنه ستحدث مجزرة كبيرة لن ينفع الخديو فيها القناصل ولا الدول الأجنبية، ولكن الخديو أصر على رأيه وفى نفس الوقت عرض

الأمر على السلطان العثمانى، وطلب منه إرسال هيئة تحقيق تركية تحت رئاسة مشير لاعادة التحقيق مما زاد من سخط العرابيين على الخديو خصوصا وانهم اعتبروا أن عرض الأمر على السلطان بمثابة تنازل عن الامتيازات التى نالتها مصر فى استقلالها بشئونها الداخلية فطلب محمود سامى البارودى بصفته رئيسا للنظار دعوة البرلمان للتشاور فى هذا الأمر منكرا على الخديو حق العفو، ولكن الخديو رفض دعوة المجلس مما دفع البارودى إلى دعوته بدون أمر الخديو مخالفا بذلك المادة التاسعة من الدستور التى تنص على أنه: "إذا مست الحاجة إلى تكرار اجتماع المجلس فى غير مدته المعتادة فيكون ذلك بمقتضى أمر يصدر من الحضرة الخديوية تتقرر فيه مدة ذلك الاجتماع" . وقد تم الاجتماع بمنزل (محمد سلطان باشا) رئيس المجلس، وحضره معظم النواب وكثير من رجال الجيش، وقد ألقى عرابى خطبة طلب فيها خلع الخديو ولكن سلطان باشا رفض ذلك بقوة وطالب بتأييد الخديو ولم يستطع العرابيون رغم تهديدهم لسلطان باشا ومحاصرة منزله بما يقرب من الفى عسكرى الحصول على موافقة المجلس، وقد انتهز الخديو هذه الفرصة واستطاع إحداث انقسام بين أعضاء البرلمان فأغرى (محمد سلطان باشا) رئيس المجلس وستة آخرين بالانضمام إليه، ومع ذلك قرر المجلس مؤازرة الوزارة كما قرر بأغلبية ٤٥ ضد ٣٠ صوتا بأنه إذا استمر الخديو فى الاستماع إلى النصائح الأجنبية فلابد من خلعه ومحاكمته، وبذلك وقف النواب مع الجيش تساندهم الوزارة ضد الخديو مما زاد من مشاكله.

واشتدت الأزمة بين العرابيين والخديو، وتدخل النواب ورجال الدين للتوفيق بين الطرفين فطلبوا من الخديو إبقاء الوزارة حلا للأشكال، وبعد مشاورات وافق على طلبهم، وذهب الوزراء إليه أعلنوا ولائهم التام له.

والجدير بالذكر أن العرابيين كانوا ينقسمون إلى متطرفين أمثال طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمد عبيد وعبد الله النديم، ومعتدلين أمثال البارودى وعبد السلام المويلحى أما عرابى فكان يحتل المركز الوسط، وفى حين كان يزج المتطرفين بعرابى إلى مواقف خطيرة كان المعتدلون يحاولون تهدئة الموقف.

(٧) العرابيون والتدخل الأجنبى

وقد سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لأى تدخل أجنبى، وضمن عرابى مسئولية حفظ النظام وصيانة الأمن، ولكن انجلترا وفرنسا ما أن وصلت أساطيلهما الحربية إلى الاسكندرية حتى تقدمتا بمذكرة مشتركة أخرى فى ١٨٨٢/٥/٢٥ تطلبان فيها اسقاط وزارة محمود سامى البارودى، وإبعاد أحمد عرابى من مصر، وتحديد إقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف.

وقد رفضت وزارة البارودى هذه المذكرة كما رفضتها الأمة كلها، وأرسلت التلغرافات لتأييد الوزارة الوطنية، ومع ذلك فقد وافق عليها الخديو، وطلب من النظار قبولها منعا لحدث ارتباكات سياسية وسفك دماء ولكنهم اعترضوا على ذلك، وقدم محمود سامى البارودى استقالته فى ٢٦ مايو

احتجاجا على التدخل الأجنبى وقبول الخديو له، فقبلها الخديو بناء على نصيحة انجلترا وفرنسا، وتولى أمور الجيش بنفسه. وقد أدى هذا الاستفزاز من الخديو للعرابيين إلى تذمر كبار الضباط الوطنيين فأظهر طلبه عصمت العصيان وقال للخديو: "أنه بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخوانه بالجهادية لا يقبلوا ذلك" وأنهم يرفضون المذكرة المقدمة من انجلترا وفرنسا ولا يقبلون عزل عرابى عن نظارة الجهادية ثم خرج طلبة عصمت غاضبا ومعه على فهمى ويعقوب سامى وبعض الضباط ومع ذلك فقد أصر الخديو على رأيه وأصدر أوامره إلى العسكريين بالتزام ثكناتهم وإلى المديرين بعدم تنفيذ الأوامر التى كانت وزارة البارودى قد أبلغتهم بها بعد أن أصبحت مستقيلة، وأخذ رجال الجيش من أنصار عرابى فى عمل محاضر ضد الخديو، كما أعلن الضباط أنهم لن يقبلوا ناظرا للجهادية غير عرابى باشا وأرسل كبار الضباط وأفراد الآلايات وقائمقامات البوليس والمستحفظين بالاسكندرية تلغرافات إلى الخديو بأنه إذا لم يعد عرابى إلى وظيفته فلن يكونوا مسئولين عن الأمن فى المدينة، وحدد بعضهم مهلة اثنى عشر ساعة لعودة عرابى إلى وظيفته. كما وردت التلغرافات من كافة طبقات الشعب تؤيد العرابيين فى موقفهم الوطنى وأراد قناصل الدول الأجنبية ضمان حماية رعاياهم فاجتمعوا بعرابى وألزموه مسئولية حماية الأوربيين فأجابهم عرابى بأنه لم يعد له صفة رسمية تمكنه من تحقيق مطالبهم، ولكنه بصفته الشخصية كمواطن يؤكد لهم حماية الأجانب. واجتمع عرابى برجال الجيش وهدد بمحاصرة سراى الاسماعيلية إذا لم يصدر له أمرا بابقائه فى نظارة الحربية كما طلب من

رجال الجيش ألا يتصرفوا إلا بناء على تعليماته، ولا يفعلوا شيئا ألا بأوامره، ويذكر الخديو توفيق فى رسالة له إلى الباب العالى أن عرابى وأن كان قد استقال (لفظا) فإنه لم يتخل عن القيادة، وهو يتابع إصدار المنشورات إلى العساكر حيث يضمنها تعليماته كما أن الضباط والعساكر يأبون سواه للجهادية.

والواقع أن عرابى لم يكن خلال هذه الأزمة على اتصال بالجيش فقط بل ايضا بالوطنيين من غير العسكريين ويبدو ذلك واضحا من خطاب لعرابى يذكر فيه أنه وأن كان قد استعفى من نظارة الجهادية فإنه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى وقد حاول سلطان باشا وبعض النواب حسم الخلاف فذهبوا إلى الخديو وطلبوا منه أن يظل عرابى ناظرا للحربية فرفض فالتحمت طبقات الشعب وخرج علماء الأزهر والمشايخ والنواب والأعيان ومجموعة من التجار وأصحاب الحرف إلى الخديو، وطلبوا أن يستمر عرابى فى نظارة الجهادية حفظا للأمن تسكينا للاضطراب، وأنه "فى حالة عدم قبول ملتمسهم سيحصل قتل عام" وتحت هذا الضغط الشعبى أضطر الخديو إلى إعادة عرابى ناظرا للجهادية والبحرية والاكتفاء به ليدير شئون البلاد مع وكلاء الوزارات المختلفة، بمعنى أنه رغم عودة عربى فإن مصر ظلت بدون مجلس وزراء، واستمر هذا الوضع لمدة ٢١ يوما مما يدفعنا إلى التساءل عن سبب ذلك ولماذا لم يكلف الخديو أحد بتشكيل الوزارة مع أنه أعاد عرابى إلى نظارة الجهادية.

الواقع أن الخديو توفيق طلب من شريف باشا تشكيل الوزارة، ولكن شريف اشترط تعيين عمر لطفى محافظ الاسكندرية ناظرا للجهادية ولما رفض رجال العسكرية ذلك وأصروا على بقاء عرابى تأخر تشكيل الوزارة.

(٨) بعثة درويش باشا

ونتيجة لتطور الأحداث حاول السلطان العثمانى استغلال الموقف بهدف عودة سلطانه المتدهور فى مصر وتثبيت السيادة التركية عليها فأرسل بعثة إلى مصر وصلت إليها فى ٧ يونية ١٨٨٢ تحت رئاسة درويش باشا لتقصى حقائق الأمور والتحقيق فى أمر الخلاف بين الخديو والوزارة فأرسل كل من الخديو وعرابى مندوبين لاستقبال البعثة فى الاسكندرية فكان ذو الفقار باشا ينوب عن الخديو، ويعقوب سامى ينوب عن عرابى ولما حضر درويش باشا إلى القاهرة استقبله الشعب فى الطريق بشعارات يمدحون فيها عرابى ويخفضون من شأن الخديو وكان يشجعهم على ذلك حسن موسى العقاد ويعطيهم النقود، ولم يعترض مأمور ضبطية مصر على ذلك.

وكانت خطة درويش باشا الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرابيين فتظاهر لكل منهما أن السلطان معه، وكان من مظاهر ذلك أن الوفد طلب نحو مائتى نيشان للضباط مكافأة لهم على إخلاصهم للسلطان، كما طلب لعرابى النيشان المجيدى من الطبقة الأولى، ولكن بعد أن منح درويش باشا رشوة قيمتها خمسون ألف جنيه بالاضافة إلى هدايا قيمتها خمس وعشرون ألف جنيه انضم علانية إلى الخديو، وظهر ذلك فى محاولاته المتكررة التخلص

من عرابى فطلب منه أن يسافر إلى الأستانة لشكر السلطان على منحه الوسام وان يترك له ديوان الجهادية، ولكن عرابى رفض هذه الفكرة بحجة أنه لا يستطيع أمام الأزمة الراهنة التى تمر بها البلاد ترك مصر والذهاب إلى الآستانة، ولما فشل درويش فى مبتغاه أعطى أوامر سرية لقبطان الباخرة التركية (عز الدين) التى أقلته إلى مصر بالاستعداد للرحيل والاقلاع إلى تركيا بمجرد صعود عرابى على ظهرها ثم ذهب إلى عرابى وأظهر له رغبته فى زيارة السفن الراسية فى الميناء ، ولكن عرابى أحس بالمؤامرة فذكر له انه ضابط مشاة ولا شأن له بالبحر ولما شعر رجال الثورة العرابية بميول درويش باشا العدائية تجاه الحركة الوطنية أرسلوا عبد الله النديم إلى الأزهر حيث عقد اجتماعا حضره أربعة آلاف شخص هاجم فيه البعثة التركية والخديو مما هز مركز درويش باشا وأصر المجتمعون على رحيله ولو رفض يقبض عليه ويرحل بالقوة.

واستمر انحياز درويش باشا للخديو، ومع ذلك فقد ظل مركز العرابيين قويا خصوصا وأن الأمة المصرية كانت تقف صفا واحدا خلف عرابى، مما ضايق الخديو، وحاول زعزعة الثقة بين العرابيين خصوصا أمام الدول الأوربية وتم له ما أراد بقيام مذبحة الاسكندرية، واستمر انحياز درويش باشا للخديو بعد ذلك، ويهمنا هنا أن نذكر بأن بعثة درويش لم تحضر إلى مصر بنية خالصة بل حضرت لإثبات سلطة تركيا فى مصر دون أن تعمل لفض النزاع بين العرابيين والخديو، أو لإنقاذ مصر من مطامع انجلترا، بل تركت مصر أشد ارتباكا وأكثر اضطرابا عما كانت عليه، ويكفى أن نذكر

أنه لم يكد يمضى على حضور درويش باشا إلى مصر بضعة أيام حتى وقعت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢، وفى وجوده أيضا استمر الموقف فى التأزم، وضربت الاسكندرية بمدافع الأسطول الانجليزى، وقد زاد موقف تركيا تجاه القضية المصرية تخبطا امتناعها فى بداية الأمر عن الاشتراك فى مؤتمر الآستانة الذى عقد فى عاصمتها فى ١٥ يوليو ١٨٨٢ بغرض المحافظة على الأوضاع الحالية فى مصر، ولما أدركت خطأها اشتركت فى المؤتمر آخر الأمر، ورضيت بإرسال جيش عثمانى إلى مصر وأبلغت الخديو بذلك، وفوضت درويش باشا بقيادة العساكر العثمانية المقرر إرسالها ولكن كان الأوان قد فات حيث قامت انجلترا بضرب الإسكندرية وإرسال قواتها لاحتلال مصر.

(٩) العرابيون ومذبحة الاسكندرية

حاول الخديو أن يحرج مركز العرابيين خصوصا بعد أن تعهد عرابى بمسئولية حفظ الأمن والنظام، وذلك بإحداث شغب وفوضى مما يزعزع الثقة فى نفوس الجاليات الأوروبية و يؤدى إلى التدخل الأوروبى بحجة أن الحكومة غير قادرة على حماية أرواح الأجانب فسعى بواسطة بعض أتباعه إلى إحداث شغب فى القاهرة "إلى حد أن الوزارة احتاطت لمنع الفتنة".

واستدعى الخديو ابراهيم بك توفيق مدير البحيرة، وطلب إليه ان يجمع مشايخ قبائل البدو، ويحضرهم إليه ففعل ثم أوعز إلى المدير أن يأمرهم بحشد ٣٠٠٠ بدوى، وإحضارهم إلى العاصمة عن طريق الجيزة ليحدثوا فتنة فى

البلد ولكن تعذر ذلك، ولما فشل الخديو فى مسعاه أرسل برقية إلى عمر لطفى محافظ الاسكندرية جاء فيها ما يلى "قد ضمن عرابى أمر الأمن العام، ونشر ذلك فى الصحف، وجعل نفسه مسئولا لدى القناصل، وإذا نجح فى ضمانه هذه وثقت به الدول وصغر شأننا، أما الآن وأساطيل الدول فى مياة الاسكندرية وعقول الناس متهيجة، فوقوع الخلاف بين الأوربيين وغيرهم أمر محتمل، فأختر لنفسك أما خدمة عرابى فى ضمانه أو خدمتنا".

ويذكر تيودور روزشتين أنه استتبع هذه البرقية مفاوضات أخرى جرت على يد ابن عم الخديو الأمير حيدر باشا الذى تنقل عدة مرات بين القاهرة والاسكندرية حاملا رسائل المتآمرين كما سافر عمر لطفى إلى القاهرة في ٩ يونية ليقف على خطة المؤامرة. وقد طلب الخديو منه إحداث شغب فى المدينة حتى يكون ذلك وسيلة إلى إفشال تعهد عرابى وتوجيه اللوم عليه، وهكذا دبرت مذبحة الاسكندرية، وقد بدأت الحوادث فى يوم الأحد ١١ يونية ١٨٨٢ فى الساعة الثانية ظهرا على أثر مشاجرة فردية بين مالطى من اتباع الانجليز وبين مكارى مصرى بسبب خلاف على أجر حمار كان الأول قد استأجره من الثانى وتطور الأمر بينهما إلى حد ان المالطى طعن المصرى بسكين، فجرحه وتجمع الناس، وتدخل جاويش مصرى من قسم اللبان ضد المالطى، كما انتصر للمالطى أحد أبناء جلدته، وفى أثر ذلك كثرت الغوغاء وعلت الضوضاء وسلت الخناجر وجردت المدى من الأغماد، واشتعل الموقف وتطور الأمر إلى حد ضرب بعض الأجانب للأهالى بالرصاص من نوافذ وأسطح المنازل وامتدت المشاجرات حتي عمت إرجاء الثغر فهجم

الرعاع على المارة وأصحاب الدكاكين وأخذوا يسطون على كل أجنبى وجدوه فى طريقهم كائنا ما كان ويوسعونه ضربا بالعصى والهراوات كما انتشروا فى الشوارع وأنبثوا فى أحياء الأوروبيين منادين بالجهاد وساعد على ذلك القلق والاضطراب اللذان استوليا على أهالى الاسكندرية نتيجة للشائعات حول تواجد الأسطول المشترك فى مياة الاسكندرية واستمر القتال نحو خمس ساعات لم يستطع أحد خلالها السيطرة على زمامه إلا بعد تدخل القوات العسكرية المرسلة بأمر عرابى والواقع أنه لولا تدخل عرابى فى الوقت المناسب لانتهى الشغب بمجزرة عنيفة أودت بحياة الأوروبيين.

أن أصابع الاتهام تشير إلى أن مدبرى هذه المذبحة هم عمر لطفى محافظ الاسكندرية بالاتفاق مع الخديو والسيد قنديل مأمور الضبطية فى حى اللبان بالاسكندرية وعبد الله النديم خطيب الثورة العرابية والانجليز وفيما يلى نعرض للتهم الموجهة إلى كل هؤلاء، ووجهات النظر المختلفة حولها.

إن إتهام عمر لطفى بالتحريض على هذه المذبحة، أمر له ما يبرره وفيما يلى نعرض لذلك:

١- ذكر محمد رشيد رضا أن الشيخ محمد عبده قال: " كنت فى الاسكندرية فسمعت الناس اجمع يقولون ان المحافظ عمر لطفى سمح بانتشار الفتنة إلى هذا الحد لأنه كان مقيما فى البلد، ولم يصدر أمرا بتوقيفها، ولم يذهب إلى مكان الفتنة . ولم يطلب مساعدة العسكر النظامى مع أنهم كانوا على مقربة منه وأجمع الناس على أن عمله هذا موعز به من الخديو" حيث كان جميع مستخدمى المعية فى ثانى

يوم الحادثة فى غاية الفرح والسرور لما حدث ساخرين من التزام عرابى بالمحافظة على الأمن العام كما ذكر الشيخ محمد عبده فى مذكراته عن الثورة العرابية ان عمر لطفى كان بالقرب من زيزينيا "فسأله سائل كيف تكون هنا، والمذابح على خطوات منك فقال لست بقائد، وهذا لا يعنينى فسأله لم لا تحضر بلباسك الرسمى على حصانك شاهرا سيفك فى خمسين من العساكر وبذلك ينتهى الأمر فأجابه انصرف ليس هذا من شأنك" ويتفق برودلى مع الشيخ محمد عبده فى أن عمر لطفى لم يعط الأوامر بوقف المذبحة، كما يتفق معه جون مارلو فى أن عمر لطفى لم يذهب إلى مكان الحادث فى الوقت المناسب.

٢- ان عمر لطفى حرض بعض الناس على الاشتراك فى المذبحة، وشجعهم على ذلك كما أنه أشار على رجال البوليس بعدم التدخل بل وطلب من أحد البدو اطلاق الرصاص على كل أوربى كان يقف فى شباك وبيده مسدس وذلك لزيادة إشعال الموقف.

٣- أن عمر لطفى جلب إلى الاسكندرية عصبة من البدو المستأجرين وسلحها بالنبابيت، كما أمر رجال البوليس فى السر بأن يشهدوا ما سيجرى ولا يتعرضوا.

٤- أن عمر لطفى استحوذ على محل التلغراف بالاسكندرية ليكون على اتصال بالخديو ولم يخبر سليمان سامى قائد الحامية بشئ إلا بعد مضى الساعة الرابعة، وقد أمره بأن يقود جنده عزلا من السلاح.

٥- ان عمر لطفى طلب انزال عساكر انجليزية إلى الميناء لعجز عرابى عن الأمن.

٦- أن عمر لطفى بحكم وظيفته كمحافظ للاسكندرية وقت الفتنة كان مسنودا إليه ملاحظة اشغال الضبطية والدائرة البلدية بالاسكندرية وهذه الوظيفة كانت تابعة رأسا للخديو، ومع ذلك فإنه لم يسأل عن الأحداث التى وقعت بالمدينة بل أعفى من مسئوليتها وأوعز إليه الخديو ان يستعفى بدعوى المرض.

٧- ان الخديو أمر بتعيين عمر لطفى وزير للحربية والبحرية جزءا لخدماته.

وكما أن إتهام عمر لطفى بالاشتراك فى تدبير المذبحة أمر له ما يبرره فأن التهم قوية ايضا ضد السيد قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية لأن رجال الشرطة التابعين له تراخوا فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة وقت الفتنة بل كانوا يحثون الأهالى على الشغب، وقدموا النبابيت والعصى لأولاد البلد ولم يتدخلوا لحماية الأوربيين بل أن بعض الأوربيين الذين ذهبوا إلى الضبطية للاحتماء بها قتلوا داخلها أو طردوا منها ليقتلهم الرعاع كما أنه قد ألقى من على سطح ضبطية الاسكندرية إلى الشارع عصى ونبابيت لاستعمالها فى الضرب واشعال الموقف، واشترك بعض رجال الشرطة فى القتل والاعتداء ويثبت ذلك الفحص الذى قام به بعض أطباء القنصليات الأجنبية فى مصر على جثث القتلى أن هؤلاء قد قتلوا أما باطلاق الرصاص عليهم أو بآلات حادة جارحة كالسكين، ومن ناحية أخرى فان السيد قنديل الذى كان متكفلا

بتوفير الأمن فى المدينة تمارض. واحتجب وقت المذبحة ولم يتحرك من منزله بحجة أصابته بشلل نصفى مع أن هذا لم يثبت بشهادة الأطباء الذين كشفوا عليه أبان محاكمته، كما ان الطبيب مصطفى النجدى الذى زاره يوم احتجاجه ذكر أنه كان يمكنه الخروج من منزله لأنه لم يصب بشلل كما ادعى، ولما أخبر بالواقعة وكان لابسا ثياب النوم، ومضجعا على مرقده مشروح الصدر فلم يجب المعاونين مطلقا، ومن لجهة حديثه كان يظهر رضاه عما حدث بل ويذكر البعض أنه اعطى أوامره بقتل الأوربيين.

أما عن النديم فقد اتهم بأنه شجع المشاغبين على المذبحة، وأنه كان السبب المباشر فى توتر النفوس بالاسكندرية لخطبه المؤثرة التى ألقاها قبل المذبحة واجتماعه بشبابها، وتأثيره عليهم بخطبة المهيجة، وتحريضه لهم على الفتك بالأجانب مما دفع الأوربيين إلى الاستعداد للدفاع عن أنفسهم عند الحاجة ، وذكر عمر لطفى فى تقريره أمام قومسيون التحقيق فى ٣ أكتوبر ١٨٨٢ أن النديم هيج وحرك أفكار "الأهالى" بالخطب والدسائس التى أعقبت مقتله ١١ يونية مما كان له أبلغ الأثر فى أذهان العامة، ولاسيما من الشباب الذين ضمهم إليه، وجعلهم آلة فى إنجاز أغراضه، فأدام التردد إليهم، والجامعة عليهم حتى إنقاد له الكثير ورغم التنبيه عليه بمغادرة الاسكندرية وعدم العودة إليها عاد وعمل ما عمله من الخطابة فى الجهة المعروفة بالأنفوشى، ثم ذهب ولم نشعر به إلا فى اليوم الثانى، وقد أعقب ذلك المذبحة وأنهى عمر لطفى تقريره باتهام النديم وغيره من العرابيين بأنهم كانوا سبب هذه الحادثة ويؤكد ما ذكره عمر لطفى التقارير الانجليزية الخاصة بمذبحة

الاسكندرية إذ يتضح منها أن هذا الحادث كان نتيجة لخطة مدبرة من قبل العرابيين وأن حسن موسى العقاد كان قد ذهب إلى الاسكندرية موفدا من قبل العرابيين قبل الحادث بيوم، وغادرها ليلة الحادث.

وذكر الياس ملحمة الشامى ان خطب النديم كانت "تهيج الأفكار، وتحرض المصريين ضد الأوربيين والأتراك"، كما كان يحث الشبان على حمل السلاح وتعلم استعماله حتى استجاب له بعضهم، وتوجهوا إلى معسكر رأس التين للتدريب.

وذكر محمد تامى أثناء استجوابه أن النديم كان يحضر إلى الاسكندرية ويلقى فيها خطب ضد الحضرة الخديوية وضد الأوربيين.

وذكر ابراهيم الناضورى أثناء استجوابه عن حادثة الاسكندرية أن الخطب المهيجة التى كان يلقيها النديم، وخصوصا الخطبة الأخيرة التى ألقاها على شاطئ البحر بجهة السيالة، والتى كانت قبل الحادثة بيومين كان لها أكبر الأثر فى هذه الحوادث، ويتفق مع هذا القول محمد طاهر، ويزيد علي أن موضوع هذه الخطب هى "مصر للمصريين" وأن السلطنة أيضا كانت للمصريين قديما وليست لأحد من الأوربيين أو الترك ويذكر أحمد سلامة أنه قد بلغه قبل الواقعة بيومين أن نديم ألقى خطبا فى جهة الأنفوشى هيج فيها الأهالى وحرضهم على قتل الأوربيين وحثهم على الحرب وحفظ الوطن.

وذكر جون مارلو أن مذبحة الاسكندرية كانت النتيجة التلقائية للدعاية المضادة للأوربيين والمسيحيين ، ويؤكد على حلمى بك وكان من كبار الضباط فى محضر استجوابه أن عبد الله النديم أخبره قبل الحادث بيوم أنه

سيحدث بالاسكندرية أمر خطير، وهذه هى نص روايته "أنى قبل حصول المذبحة بيوم واحد قابلت عبد الله النديم فى وقت الصباح بمصر فسألته فى أى وقت حضرت من الاسكندرية فقال حضرت منها ليلة أمس لاشغال مهمة وأنى متوجه إليها فى هذا اليوم بعد الظهر فقلت له لماذا هذه العجلة، ولأى سبب ستحضر من الاسكندرية فى ليلة أمس وتتوجه إليها فى هذا اليوم فقال لى أنا حضرت من أجل مسألة مهمة، ومتوجة إلى الاسكندرية فى هذا اليوم لأن اسكندرية سيحصل فيها بكرة حركة جسيمة جدا، وفى ثانى يوم حصلت تلك المذبحة فتحقق لى بذلك أن عرابى كان له دخل فى هذه الحركة الفظيعة".

وذكر على داود فى محضر استجوابه أن النديم كان يحرض الشباب ويتكلم فى الديانات، ويلقى الخطب وأن سعادة المحافظ نبه عليه بالخروج من الاسكندرية.

ذكر الصحفي لويس صابونجى فى رسالة منه إلى بلنت أن شخصية النديم السريعة الإثارة يمكنها إشعال النار فى أى وقت لحرب دينية.

وعندما سئل احمد عرابى أثناء محاكمته عن صلته بالنديم، وعن مدى معرفة أنه سافر إلى الاسكندرية قبيل المذبحة، وأن محافظ المدينة أراد أن يخرجه منها، ولكنه لم يستطيع لصلته بالعرابيين لم ينكر عرابى هذا بل قال بأنه ليس مسئولا عن النديم ولا عن تصرفاته.

ورغم أن هذه الشهادات والتقارير تؤكد ان للنديم يدا فى إحداث فتنة ١١ يونية فقد ذكر بلنت أن خطب النديم فى ذلك الوقت كانت تحض الناس

على الهدوء، وأنه كان يشرح لهم عدم التورط فى أى اشتباك مع الأوربيين حتى لا تعطى الفرصة للأسطول الانجليزى بالتدخل وضرب المدينة.

كما ذكر محمد حندق صاغقول مستحفظين الاسكندرية فى محضر استجوابه ان النديم لم يشجع الأهالى ضد الأوربيين بل كان يطلب منهم الاتحاد وإلا يعتدوا على أحد. كما أنه لم يكن موجودا بالاسكندرية وقت الحادث بل كان بالقاهرة.

والواضح أن هذه المذبحة أحزنت عرابى ورفاقه، لأن عدم استتباب الأمن قد أساء إليهم، وقلل من عطف الدول الأوربية على حركتهم.

وقد انكر بلنت وبرودلى اتهام العرابيين بتدبيرها، ومع أننا نضع فى الحسبان أن شهادات وتقارير الشهود كانت بعد هزيمة العرابيين وخروجهم من ساحة المعارك، وان المغلوب كثيرا ما تلصق به التهم جزافا فأننا نرى أن طبيعة النديم الثورية ولهجته الخطابية التى تستثير الشعور دون حيطة أو تبصر، وكراهيته للأجانب كان لها أكبر الأثر فى إثارة الأهالى الذين تشبعوا بكراهية الأجنبى المستغل فكتموا غيظهم فى نفسهم حتى حدثت الفتنة وكان دويها واضحا فى ١١ يونيه ١٨٨٢.

أما عن اتهام الانجليز بأنهم هم الذين دبروا هذه المذبحة، واصطنعوا حادثة المالطى مع المكارى لإثبات عجز الحكومة عن حماية الأمن استنادا على أن المالطى الذى تشاجر مع السيد العجان كان من اتباع الانجليز، وأخا لخادم المستر كوكسن القنصل الانجليزى، فان هناك من المواقف ما يؤكد ذلك كما أن هناك من المواقف ما ينفيه.

وعن الموقف الأول يتضح حرص كولفن على إظهار البلاد بأنها غير مستقرة وبلا حكومة وان الفوضى تضرب أطنابها والخراب يتسع نطاقه، ففى مذكرة له يذكر أنه يتوقع فى اى لحظة أن يسمع عن حادثة خطيرة لا يمكن التنبؤ بعواقبها.

ويتهم عبد الله النديم المستر كولفن بتدبير إحداث مذبحة الاسكندرية فيذكر أن هناك اتفاق مع السير (مالت) و المستر (كولفن) على إحداث فتنة فى الاسكندرية بين الأجانب والمصريين لاتخاذ ذلك ذريعة لتدخل الأساطيل الأجنبية فى الموقف واحتلال المدينة كما ذكر جون نينيه بأن (كوكسن) شجع المالطيين على التسلح غير أن هناك ما يدل على أن تسليح الأجانب لم تكن فكرة (كوكسن) وحده فبعد أن انتشرت الشائعات بحدوث مذبحة للأجانب فى الاسكندرية اقترحت القنصلية اليونانية على قنصل انجلترا وغيره من القناصل وضع خطة سرية لتسليح الأجانب للدفاع عن أنفسهم وقت الحاجة، ولكن هذه الخطة لم تنفذ خشية ما قد يترتب على ذيوعها بين الاسكندريين من حوادث خطيرة.

أما عن الموقف الثانى فيتضح من محاضر جلسات العموم البريطانى أن ما حدث فى الاسكندرية كان كارثة بالنسبة للانجليز راح ضحيتها بعض رعايا الانجليز الذين ذبحوا برغم أنهم فى حماية الأسطول البريطانى وتؤكد الأحداث ذلك فالقنصل البريطانى (كوكسن) ضرب وجرح فى رأسه جرحا خطيرا بعد أن هجم عليه الغوغاء، ولم يفلت من أيديهم إلا باعجوبة كما قتل

ضابط انجليزى مما دفع أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى إلى أن يتساءل على من تقع مسئولية هذه الأحداث فى الاسكندرية.

ومهما كان الأمر فان ما حدث فى الاسكندرية قد أعطى الفرصة للانجليز لاتخاذ هذه الأحداث ذريعة للتدخل المباشر بحجة عجز العرابيين عن حماية أرواح الرعايا والقناصل الأجانب فى مصر.

وعقب الحادث سافر الخديو إلى الاسكندرية مع درويش باشا بحجة العمل – كما ذكر الخديو لثابت باشا مندوبه فى استنبول- على تهدئة الخواطر وتقوية أسباب الأمان وتخليص الأذهان من المخاوف حيث هرب معظم السكان الأوربيين من البلاد والتجأوا للأسطول والبواخر الموجودة فى الميناء بعد أن تعرضوا للمحن التى صحبت مثل هذه الأحداث، ولكن كان واضحا من ذهاب الخديو إلى الاسكندرية رغبته فى أن يكون على مقربة من الأسطولين الانجليزى والفرنسى بعد أن أعيد الامن الي نصابه اذ كان يعتقد انه هدفا لمؤامرات يتم تدبيرها بواسطة الجيش ورغم أن السلطان قد طلب من الخديو ودرويش باشا الانتقال إلى القاهرة للسيطرة على زمام الأمور فانه ظل بالإسكندرية بحجة تسكين الاضطراب وإزالة الخوف من نفوس الأوربيين والأهالى، كما ان الباب العالى احتج لدى الحكومة البريطانية على أى تدخل سياسى فى مصر دون موافقة سابقة من السلطان، وقد حاول السلطان العثمانى استغلال هذه الأحداث بإرسال قوات عسكرية تركية إلى مصر تكون قيادتها لدرويش باشا ولكن تلك المحاولة قوبلت بعاصفة استنكار شديدة ضد السلطان فقد انكر علماء المسلمين أن يرفع مسلما سلاحا فى وجه أخيه

المسلم، وأعلنت انجلترا أن هذه الضغط من السلطان ليس له ما يبرره وتحت هذه الضغوط سحب السلطان قراره بالتدخل المسلح فى مصر.

والجدير بالذكر أنه بعد قبول استقالة البارودى لم تتألف الوزارة الجديدة برئاسة راغب باشا إلا فى ٢١ يونية ١٨٨٢ وقد طلب الخديو فى الأمر العالى الذى وجهه إلى رئيس النظار الجديد إبقاء عرابى ناظرا للجهادية والبحرية.

وقد اهتمت وزارة راغب باشا بتهدئة الخواطر فى محاولة منها لاعادة العلاقات الطيبة بين أهالى الاسكندرية والأجانب الذين كانوا فى حالة انزعاج شديد فأصدرت تعليمات لخطباء المساجد ووعاظها " بأن ينصحوا الناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين فى الدين" كما اعتزمت الوزارة تأليف لجنة مختلطة من المصريين والأجانب مهمتها إجراء تحقيق فى حوادث الاسكندرية لمعاقبة المتسببين فيها، وبدأت الأمور تستقر فى بعض أحياء المدينة ووزع العرابيون منشورا على الأهالى بأن الأساطيل على وشك الانسحاب من الاسكندرية، وما أن أخذت الأمور تستقر حتى أصدر الخديو توفيق منشورا فى ٢١ يونية اتهم فيه عرابى بالتقصير فى المحافظة على أرواح الأجانب وأبدى اسفه لإحداث الاسكندرية.

والواضح أن مركز الخديو فى تلك الفترة كان ضعيفا وسلطته مسلوبة وقد وضح ذلك للانجليز فقد ورد فى مناقشات أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى تساؤل عن مركز الخديو، وعما إذا كان هو الحاكم الحقيقى فى مصر وهل يمكن أن يستمر كخديو للبلد ام لا.

ونظرا للخطورة المترتبة على ضعف سلطة الخديو، وخشية الدول الأوربية وخصوصا فرنسا من انفراد انجلترا باحتلال مصر تقرر عقد مؤتمر دولى لبحث المسأله المصرية.

(١٠) مؤتمر الآستانـــة

دعت فرنسا إلى عقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية فوافقت انجلترا وروسيا والمانيا والنمسا وايطاليا على الدعوة بينما رفضت تركيا الفكرة فى بداية الأمر بحجة أن ايفاد درويش باشا إلى مصر كاف لحل مشكلتها ولأن تركيا رأت فى بحث الموقف فى مصر على النطاق الدولى بمثابة تدخل فى شئون سيادتها غير ان السلطان عاد ووافق على حضور المؤتمر الذى انعقد فى احدى ضواحى الاستانة فى ٢٣ يونية ١٨٨٢، وانتهى إلى عقد اتفاق اطلق عليه ميثاق النزاهة وبمقتضاه "تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها، ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها لا يخول لرعايا الحكومات الأخرى".

وقد وقعه أعضاء المؤتمر جميعا ، كما قرر المؤتمر فى ٢٧ يونية، وبعد أن انضمت إليه تركيا وجوب التدخل فى شئون مصر لاخماد الثورة على ان تعهد لتركيا بهذه المهمة، ولكن انجلترا حين أبرمت القرار كانت تنوى نقضه فحين اقترح مندوب ايطاليا المفوض بأنه ليس من حق أى دولة

مشتركة فى المؤتمر ان تقوم بأى عمل انفرادى ضد مصر طالما ظل المؤتمر منعقدا طلب مندوب انجلترا أن يضاف إلى الاقتراح جملة" إلا فى حالة الضرورة القصوى" ليضمن بذلك لبلاده حق التدخل فى شئون مصر بحجة ما تقتضيه الظروف القاهرة، وفعلا فأنه لم يمض على توقيع انجلترا على قرارات المؤتمر ستة عشر يوما حتى ضرب أسطولها الاسكندرية بمدافعه فى١١ يوليو١٨٨٢

(١١) ضرب الاسكندرية

وفى يوم ٦ يوليو شرع (الادميرال سميور) قائد الأسطول الانجليزى فى استفزاز العرابيين، وانتحال الأسباب لمباشرة الأعمال الحربية فأرسل إلى قائد القوات العسكرية فى الاسكندرية يطلب منه وقف التدابير الحربية التى تجرى فى الطابيات وتسكين النشاط العسكرى فى الاسكندرية ووقف التحصينات القائمة، وإذا لم يتحقق ذلك فى مدى اثنى عشر ساعة فان الأسطول الانجليزى سيضرب مدينة الاسكندرية.

والواقع ان (سيمور) قد حاول انتحال الذرائع للعدوان على مصر، وكانت لديه أيضا أسباب شخصية تدفعه إلى الاسراع فى مباشرة الأعمال الحربية، فأسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالانضمام إلى أسطول سيمور. وكان قائد أسطول المانش أرقى رتبة من سيمور، فإذا انضم إليه تكون الرئاسة له، لذلك اسرع سيمور فى اختلاق الأسباب لضرب الاسكندرية قبل مجئ أسطول المانش.

وذكرالمستشرق جون نينه Ninet وكان شاهد عيان لضرب الاسكندرية أنه كان يزور الحصون بصحبة كبار الضباط يوميا، ولم ير بها أى ترميم ولم ينصب فيها أى مدفع جديد منذ وصول أوامر السلطان وأكد ذلك ايضا "وكيل عموم الاستحكامات المصرية" ولكنه ذكر ان حكمدار طابية السلسلة كان لديه ثلاثة قواعد خشبية للمدافع الصغيرة أرسلها للتصليح وأعيد تركيبها بعد صدور أوامر السلطان مما جعل البعض يظن بأنه تم تركيب مدافع جديدة.

وذكر القائمقام فرج عبد العال فى تقريره المقدم إلى الخديو انه "لما صدر الأمر السلطانى بتوقيف اشغال الطوابى، حصل الامتثال من الجميع".

وذكر محمد شكرى بك انه: " لم يكن جاريا وقتها تصليح وترميم شئ بالاستحكامات نفسها بل الذى كان جاريا هو بياض وترميم القشلاقات".

وذكر الخديو توفيق " أن ادعاءات (الأدميرال سيمور) انما تقوم على الظن والشبهة، فليس هناك مدافع وضعت فى الطوابى غير مدافعها القديمة، ولم يعمد إلى اية ترميمات جديدة فى الطابيات، وليس ثمة حركات فى الطابيات سوى تنظيف المدافع ومسحها كالمعتاد وإجراء بعض التمرينات دون اطلاق المقذوفات".

ومهما كان الأمر فأننا نرى انه من حق العرابيين تحصين وترميم مواقعهم الدفاعية، وان الحجة التى تذرع بها الانجليز لضرب الاسكندرية هى حجة واهية.

وطلب (الأدميرال سيمور) من العرابيين رفع مدافع الاستحكامات الموجودة بطوابى رأس التين ، وعلى الساحل الجنوبى للميمنة الشرقية لأن ذلك من وجهة نظره يعتبر تهديدا للسفن الانجليزية وهدد سيمور بانه فى حالة رفض طلبه سوف يطلق النار على الاسكندرية فى شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢، وقد ردت الحكومة المصرية على انذار الأدميرال بانه ليس هناك اية تدابير حربية تجرى فى الطابيات وانها على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل، ورأت تفاديا للعواقب التفاهم مع (الأدميرال سيمور) بفك ثلاثة مدافع من الطوابى التى ادعى بتركيبها، على أن يختار سيمور الأماكن التى يتم رفع المدافع عنها سواء من طابية واحدة أو من كل طابية مدفع واحد ولكنه أصر على مطالبة بتسليم الطوابى أو ضربها، وكان الرد معارضة طلبه حتى لو أدى ذلك إلى الحرب مع عدم مقابلة ضرب المدافع بالمثل ألا بعد خمس طلقات من مدافع الأسطول، ونفذ سيمور تهديده وبدأ فى ضرب الاسكندرية فى الساعة السابعة من صباح يوم ١١ يولية ١٨٨٢، وفتحت سفن الأسطول الانجليزى نيرانها على القلاع والسفن بعد ان غادر الأسطول الفرنسى بأوامر من حكومته الميناء إلى البحر.

ولكى يجعل الانجليز عملهم العسكرى ذا صبغة شرعية عرضوا على الخديو الضيافة على ظهر احدى سفنهم حتى ينتهى الضرب، ولكن الخديو اعتذر.

واستمر الأسطول الانجليزى فى ضرب الاسكندرية نحو عشر ساعات تمكن خلالها من اسكات المدفعية الساحلية وتخريب الاستحكامات بالمدينة وهدم واحراق معظم مبانيها.

وجاء ضرب الاسكندرية تجاهلا للمؤتمر الذى كان لا يزال منعقدا فى الآستانة، فلا السلطان ولا الدول المجتمعة طلبوا من انجلترا القضاء على الثورة المصرية، وهكذا أهان الانجليز المؤتمر الذى دعوا إليه بأن بدأوا الحرب بغير توصية منه أو حتى موافقته، كما اعتدوا على حقوق الباب العالى.

ولقد آثار ضرب الاسكندرية الجدل العنيف فى مناقشات مجلس العموم البريطانى فاستنكر بعض الأعضاء هذا العمل، واعتبروه تصرفا خاطئا وغير مدروس ووصفوا السياسة الخارجية لانجلترا فى مصر بأنها نفرت حلفائها، وورطتها – أى انجلترا- بصورة واضحة فى حرب مع مصر.

وعلى كل حال فقد صمدت القوات المصرية فى مراكزها بعض الوقت، وبذلت جهدها أمام قذائف الأسطول الانجليزى للطوابى، واشترك الرجال والنساء من أهالى الاسكندرية فى نقل الذخائر إلى المدافعين رغم نيران المدافع والقنابل. ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق لهم استمرار الصمود والقتال.

ولما نزلت القوات الانجليزية إلى الاسكندرية أظهر الخديو انحيازه إليها وسارع هو وشيعته الضئيلة بتهنئتها ووضع نفسه تحت حمايتها، وهنا يجدر بنا أن نتساءل هل كان هناك اعلان حرب من انجلترا على مصر؟

يذكر المستمر جلادستون بأن ما اتخذ كان إجراءا دفاعيا لأمن الأسطول كما صرح السير (تشارلز ديلك) وكيل الخارجية البريطانية بان القوات التى انزلت كانت مهمتها الحفاظ على النظام والأمن فى الاسكندرية، وقد ارسل الخديو رسله إلى المصريين الذين هجروا الاسكندرية يطلب منهم العودة إليها حتى تستقر الأحوال، وكان موقف درويش باشا متفقا مع الخديو فى الانحياز إلى الانجليز. وعلى أى حال فبعد أن أصبحت الاسكندرية غير صالحة كمنطقة دافعية، قرر العرابيون الانسحاب منها، وفى أعقاب ذلك تم احراقها ويتهم حسين باشا الدرملى العرابيين بحرق الاسكندرية فذكر ان النديم كان من المشجعين على حرق المدينة ونهبها حتى لا يجد الانجليز شيئا عند احتلالهم لها.

كما أكد ذلك احمد سلامة فذكر أنه رأى النديم بعد الحادث فى محطة سيدى جابر راكبا فى صهريج الوابور وفى يده طبنجة، وسمعه يقول انه قتل بها ثلاثة أشخاص، وأن حرق البلد كان بواسطة غاز أحضر بمعرفتهم وصب على الدكاكين والمنازل حتى يتم حرق البلد بسرعة.

وأيد حسن واضف هذا الكلام فقال انه كان راكبا وابور السكة الحديد القادم من الاسكندرية للقاهرة والذى كان به عبد الله النديم وانه سأله عن حالة الاسكندرية فأجابه بقوله: " أننا أوقدنا فيها النار بعد السلب والنهب ولما سأله عن حالة الطوابى قال له أنها هدمت، ولكننا مستعدين للمقاومة فى البر"، وأصر النديم على المقاومة قائلا: " فمع أنه ضعيف فقد قتل ثلاثة من الأوربيين بالطبنجة التى معه"، وأخرج من جيبه طبنجة...

وأكد ذلك ما تردد من أن سليمان سامى كان قد شرع فى حرق الاسكندرية فعلا وبدأه فى جهة المنشية، وذكر محمد شكرى أن ما فعله سليمان سامى كان بالاتفاق مع عرابى بينما يذكر آخرون أن ذلك كان بدون علمه.

وعلى كل حال فقد بيعت البضائع التى نهبها العساكر والأهالى من الاسكندرية بسوق كفر الدوار دون أن يتعرض أحد من العسكريين لضبطها أو لجمعها وتسليمها للمديرية، وإذا كان البعض يحاول إبعاد العرابيين عن هذه التهمة فإننا نرى أن طبيعة المتطرفين من قادة الثورة العرابية كانت تأبى أن تترك الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية وتدخلها آمنة فاشعلت فيها الحرائق ونهبت المحلات.

إذا كان بلنت وسليم النقاش قد ذكرا بأن العرابيين حرقوا الاسكندرية وفقا لتكتيك عسكرى سليم بألا يستفيد العدو من البلد الذى يدخله كما فعل الروس فى موسكو فى أثناء الغزو النابليونى حتى لا يجد العدو مأوى ولا مئونة ولا ذخيرة لرجاله وحتى يستطيع عرابى التقهقر لاتخاذ أماكن استراتيجية للقتال فإن شهادة أحمد رفعت تؤكد أن عرابى قد ذكر بأنه: " إذا تداخل أحد لازم نموت لآخرنا، ونفنى كل شئ" كما أن وثائق الثورة العرابية تؤكد أن عرابى لم يصدر منه أى تأنيب لسليمان سامى بل أشركه معه فى الاستعدادات بكفر الدوار، ولم يحاكمه.

وذكر محمود فهمى أن عساكر آلاى مصطفى عبد الرحيم وسليمان داود كسروا أبواب الدكاكين والمخازن ونهبوا ما فيها وأوقدوا النيران فى

الأماكن والأبنية الفاخرة كما دخل ايضا عربان البحيرة والبرابرة وسلبوا الحوانيت والمخازن وأشعلوا فيها النيران علما بأن العرابيين قبل انسحابهم من الاسكندرية أطلقوا سراح جميع المسجونين.

والجدير بالذكر أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى قد نبه الحكومة البريطانية على ما يتسبب عن ضرب الأسطول للاسكندرية بأنه فى حالة يأس الجيش المصرى فقد يقوم بتدمير المدينة.

أننا نتفق مع رأى الشيخ محمد عبده فى أن تهمة حرق الاسكندرية ينبغى أن توجه لأكثر من طرف، فقد عثر على جثث أروام بلباس عرب أثناء الحريق، كما اشترك فيه عربان من أولاد على ممن كانوا على صلة بالخديو، ومنهم أهالى الاسكندرية ومنهم أوربيون بقصد المبالغة فى التعويضات.

ونتيجة لضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية تحطمت حصونها، ولم تعد صالحة للدفاع مما دفع العرابيين إلى الانسحاب منها إلى منطقة كفر الدوار واعادة تنظيم الاستعدادات الحربية، ولما علم الخديو بنية العرابيين أرسل إلى عرابى يطلب منه وقف كل التجهيزات العسكرية والسماح للمهاجرين بالعودة إلى الاسكندرية والحضور إليه فى قصر رأس التين لاعطائه التنبيهات اللازمة والغاء الإدارة العسكرية وإعادة الإدارة المدنية ولما استشار عرابى المقربين إليه نصحوه بعدم التوجه إلى رأس التين فرفض عرابى طلب الخديو واستمر فى استعداداته واتهم الخديو بخيانة البلاد، وانه سبب ما نزل بها من مصائب، وطالب الوطنيين بتدبير المساعدات اللازمة للمهاجرين الذين أضيروا من اجل بلادهم.

ونتيجة لتطور الأحداث واتضاح موقف الخديو المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من الأعيان والعلماء والموظفين وممثلين عن كافة الطوائف ليعرض عليهم الموقف، وما يجب عمله ردا على موقف الخديو كما أرسل خطابا بذلك إلى جميع مديرى المديريات.

وعقدت الجمعية العمومية اجتماعها فى مساء يوم ١٨٨٢/٧/١٧، وانتخب حسين باشا الدرملى رئيسا للجلسة، كما اتخذ المجلس قرارته بالاجماع، وكان أهمها الاستمرار فى قتال الانجليز وإرسال وفد إلى الخديو بالاسكندرية يطلبون منه العودة هو والوزراء إلى العاصمة كما طالب بعض الأعضاء بعزل الخديو ولكن استقر الأمر على الرجوع إلى السلطان فيما يختص بالخديو.

وقد رفض الخديو قرارات المجلس العرفى مما جعل المجلس يطلب من ديوان المالية وقف صرف مرتبات الخديو والوزراء عن شهر يولية ١٨٨٢.

وفى ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أعلن الخديو عصيان عرابى وأصدر أمرا بعزله من منصبه وتعيين عمر لطفى مكانه، وقد أرجع الخديو ذلك إلى عدم إطاعة عرابى للأوامر ورفضه عودة المهاجرين إلى الاسكندرية وحجزه مياة ترعة المحمودية، واستمراره فى التجهيزات الحربية وقطعه للاتصالات التلغرافية والبريدية عن حتى أن أخباره الخاصة لم يستطيع معرفتها مما سبب له الضيق والاضطراب وأضطر إلى الاستعانة بتلغراف الجيش الانجليزى ،

وقد برر الخديو نزول القوات البريطانية إلى الاسكندرية بالقضاء على الحرائق وطرد اللصوص وحماية المدينة.

ولم يهتم عرابى بعزل الخديو له وطلب من يعقوب سامى وكيل وزارة الحربية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد والتشاور فى الأمر، وقد عقدت الجمعية العمومية اجتماعها الثانى فى ٢٢/٧/ ١٨٨٢ فى جو ذكره شهود العيان بأنه ملئ بالرهبة والعنف فالضباط والجنود شاهرين سلاحهم خارج الاجتماع وداخله، وعلى الروبى يخطب خطبة عنيفة يهاجم فيها الخديو ويتهمه ببيع البلاد للانجليز الذين عاثوا فى البلاد فسادا وأعقبه محمد عبيد الذى رفع سيفه وأقسم يمينا بقطع يد من يؤيد عزل عرابى، وارتجل الشيخ محمد عبده خطبة قال فيها: " أن الخديو إنحاز للانجليز، ويريد تسليم القطر لهم كما حصل فى الاسكندرية والمراد بعقد هذه الجمعية هو هل يصح عزل عرابى باشا او يبقى ناظرا على الجهادية". ونظرا لما حدث فلم يتجاسر احد على رفع يده بالمعارضة وانتهى الاجتماع إلى ضرورة بقاء عرابى ناظرا للجهادية وإهمال أوامر الخديو وما يصدر من نظارة الموجودين معه فى الاسكندرية وخصوصا بعد أن خرج الخديو على قواعد الشرع والقانون.

وقد ختمت الجمعية العمومية قراراتها بضرورة عرض الأمر على الباب العالى بواسطة وكلاء النظارات، وأرسل العرابيون إلى المديريات ودواوين الحكومة منشورا باعلان انضمام الخديو إلى الانجليز وأمروا بخلع طاعته: "لأنه باع البلاد لألد أعدائها" وضرورة المداومة على الاستعداد

للقتال وعدم التسليم كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياة عن الخديو وأعوانه فى الاسكندرية.

وفى ٧ أغسطس ١٨٨٢ أصدر الخديو أمرا لجميع سكان مصر أتهم فيه عرابى بالسعى لخراب مصر، وبأنه السبب الأول فى مذبحة الاسكندرية وما حدث بطنطا وغيرها، وأنه سبب شل الحياة التجارية والزراعية فى البلاد.

وفى وسط هذا الجو من الانقسام بين الخديو والعرابيين نشبت الحرب مع الانجليز، وكانت الخزانة المصرية خاوية لأن المراقب الانجليزى كولفن أخذ الأموال المصرية الموجودة فى الخزانة العامة، ووضعها فى احدى سفن الأسطول الانجليزى قبل الحرب بأيام وكذلك نقلت الأموال الموجودة بصندوق الدين إلى السفن الحربية بالاسكندرية لذلك تزاحم الأهالى على أعانة الجيش بما يلزمه.

(١٢) التعاطف الوطنى والاسلامى ضد الانجليز

قامت البلاد تدافع عن شرفها وتحارب عدوها، فانضم الرجال إلى معسكرات التدريب لخوض المعركة وتركوا محالاتهم وعائلاتهم ومزارعهم وامتلأت نفوس أفراد الأمة المصرية بالرغبة فى الانتظام فى سلك العسكرية والاستشهاد فى سبيل الله والوطن وتبرعت النساء بحليهن عن طيب خاطر، وهرع الشيوخ إلى المساجد يدعون الله كى ينصر عرابى حامى البلاد وتحت وطأة هذا الحماس الشعبى فكر عرابى فى تشكيل وحدات من الأهالى يجرى

تدريبهم على حمل السلاح، وأن يعهد إليهم بحماية العاصمة والأقاليم عند خروج الجيش إلى مناطق القتال، ولكنه عدل عن الفكرة بعد أن اتضح أنه يخشى على العاصمة إذا سلمت حراستها إلى الأهالى وذلك لأن معظم من تطوع منهم هم الفقراء المحتاجون للقوت والعاصمة مكتظة بالأموال الأميرية وغيرها، وتقرر أن يجرى تدريب المتطوعين من الأهالى على الآليات وإرسالهم إلى جبهة القتال إذا لزم الأمر.

والواقع أن مصر لم تكن وحدها فى ازمتها فقد أثار ضرب الانجليز للاسكندرية هزة عنيفة بين المسلمين فى كافة البلدان الاسلامية فدعا علماء تركيا إلى حمل السلاح، ومساعدة أخوانهم فى الدين، كما ثار مسلمو الهند على الانجليز مما جعلهم يسرعون إلى تحديد إقامة جمال الدين الأفغانى الذى كان بالهند وقتذاك وفى الشام حمل الرجال السلاح، وأعدوا كتائب من المتطوعين ولكن السلطان منعهم من التوجه إلى مصر، وفى تونس ناصرت صحافتها عرابى ومثلته فى صورة البطل الذى سينقذ مصر والبلاد العربية من التدخل الأجنبى، واتصل عرابى بالسنوسى "وحرضه على القتال والمجاهدة فى سبيل الله". كما اتصل بعبد القادر الجزائرى فى منفاه بدمشق وبأبناء فلسطين وبثوار السودان بزعامة المهدى حتى اضطرت الحكومة إلى إرسال تعليمات إلى عبد القادر باشا حكمدار السودان بعدم الاصغاء إلى تعليمات العرابيين، ولما أيد عرب برقة نداء عرابى أجبرت انجلترا السلطان العثمانى على أن يرسل بتعليمات إلى والى طرابلس ومتصرف بنى غازى باتباع الحزم والشدة مع الأهالى بخصوص ذلك، كما طلب الانجليز من

الحاكم التركى فى فلسطين منع تقديم المساعدة إلى عرابى فألقى القبض على كثير من شيوخ العرب المتعاطفين مع الثوره العرابية ورجالاتها.

(١٣) معارك كفر الدوار

أحكم عرابى تحصين مواقعه فى كفر الدوار، مما أعاق تقدم القوات الانجليزية فى هذه المنطقة، فقد استطاع طلبه عصمت قومندان فرقة كفر الدوار وجنوده صد هجوم الانجليز المتوالى على هذه المنطقة حتى اضطرت القوات الانجليزية إلى الانسحاب أكثر من مرة أمام بسالة الجنود المصريين.

ولما لم تستطع القوات الانجليزية اقتحام استحكامات العرابيين فى كفر الدوار نقلوا العمليات الحربية إلى منطقة قناة السويس حتى يتمكنوا من استخدام قواتهم البحرية مما اضطر العرابيين إلى جعل نقطة التل الكبير مركزا لتجميع قواتهم العسكرية تبعا لاستعداد العدو وحركاته، ولما كان عبور القوات الانجليزية للقناة يمثل خطورة على العرابيين فقد نصح بعض الضباط عرابى بردم القناة، ولكنه لم يستمع لنصائحهم مؤمنا بوعود ديلسبس التى كانت تنحصر فى ضمان حياد المرور فى القنال للجميع، وحماية أرواح ومصالح الأوروبيين المقيمين فى مصر، فكان ذلك من الأخطاء الجسمية التى غيرت مجرى الحرب، فقد اخترق الانجليز القناة، وانتقلت المعركة إلى الجبهة الشرقية فى أواخر أغسطس ١٨٨٢.

وأمام هذا التحول المفاجئ فى جبهات القتال أعاد عرابى حساباته فانتقل محمود فهمى رئيس أركان الحرب إلى "المسخوطة" وأخذ العرابيون

فى إنشاء خطوط دفاعية هناك، وقاموا بسد ترعة الاسماعيلية عند "المجفر" لمنع وصول المياة العذبة إلى الانجليز، ولكن الجنرال ولسلى قائد القوات الانجليزية أحبط هذه المحاولة حيث أحتل نقطة "المجفر" ثم تابع الجيش الانجليزى تقدمه، ونجح فى الاستيلاء على "المسخوطة" و "المحسمة" كما نجح فى أسر محمود باشا فهمى مما أدى إلى تصدع الجبهة الشرقية.

(١٤) منشور السلطان بعزل عرابى

واستطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل وسياسيا أيضا فتمكنت نتيجة للاتصالات المكثفة التى دارت بينها وبين الدولة العثمانية ونتيجة لجهود اللورد دفرين مندوبها فى الآستانة من الضغط على السلطان بالتهديد تارة، وباستخدام كل الوسائط ومنها الرشوة تارة أخرى حتى يصف عرابى بالعصيان، وتحقق لها الوصول إلى ذلك فأصدر السلطان منشورا بعصيان عرابى والتزام الدولة العثمانية بالمحافظة على الخديو مما قبل ميزان الحماس الشعبى وأضاع التأييد الاسلامى والعربى للثورة العرابية حيث كان عرابى يعلن أنه يدافع عن حقوق السلطان.

وحينما بلغ عرابى المنشور استشار عبد الله النديم فيما يجب عمله فأشار عليه كما يذكر (سليم النقاش) في كتابه مصر للمصريين نشره فى جريدة الطائف والرد عليه مع الاستمرار فى الدفاع عن البلاد حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم لأن توزيع المنشور سرا سيكون له رد فعل

أسوأ مما لو نشر فى الصحف ورد عليه ، ولكن عرابى لم يستحسن نشره خشية تحول القلوب عنه.

ويذكر اسماعيل سرهنك أنه لما قرأ عرابى منشور الباب العالى بعصيانه فى جريدة الجوائب "وقع فى قلبه اليأس لأن حجته الكبرى كانت بدعوى أنه قائم بالمدافعة عن حقوق الدول العلية فى مصر فتشاور مع صديقه الحميم عبد الله النديم وأتفقا على اخفاء ذلك عن الجند".

وعلى كل حال فقد تمكن جواسيس الخديو على رأسهم سلطان باشا من توزيع المنشور فتمكن بعض العربان من التسلل إلى المعسكرات المصرية وتوزيع المنشور على الضباط والجنود الذين أحسوا بصدمة عنيفة بعد الاطلاع عليه فخارت قواهم ويئسوا من الفوز وضعفت حميتهم الدينية إذا اعتبروا أنفسهم " عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله".

ومع أننا لا نلصق هزيمة عرابى بهذا المنشور وحده كما يذكر البعض فأننا نعتبره أحد الأسباب فى صرف القلوب عن عرابى وحركته.

وقد أرسل الخديو إلى عمد البلاد وأعيانها مكاتبات يدعوهم فيها إلى مخالفة عرابى وأعوانه، وأنه سيدخل تحت طائلة المحاكمة الشديدة والعقاب كل من يسانده.

(١٥) معركة التل الكبير

ونجحت جبهة الخيانة فى تنفيذ مخططها فاتصل الخديو وسلطان باشا بأحد الضباط ويدعى على يوسف (خنفس) ووعداه بالنياشين فكانت خطط

الجيش السرية ترسل إليهم عن طريقه، كما كانت أعداد وتحركات قوات عرابى وتوزيعها وخططها معروفة لدى الانجليز والخديو فهجم الانجليز فجأة يتقدمهم البدو وأنصار الخديو ومعهم خطة جيش عرابى ومواقعه ، وكانت المعركة الفاصلة فى التل الكبير والتى فوجئ فيها المصريون بالهجوم الانجليزى الذى لم يكن متوقعا فى حساباتهم حيث انه فى الليلة التى استعد فيها الانجليز للهجوم على التل الكبير كتب على يوسف (خنفس) إلى عرابى وكان فى مقدمة الجيش يخبره بعدم وجود تحركات للعدو "فعقد عرابى طوال الليل مع الفقراء فى الصيوان.. يذكرون إلى آخر النصف الأخير من الليل وعند الفجر ناموا جميعا" ولم يستيقظوا إلا على طلقات البنادق واستمرت المعركة حوالى عشرين دقيقة حطم فيها الجيش الانجليزى متاريس التل الكبير تحت قيادة السير ولسلى، وتشتت قوات عرابى.

وهكذا كانت معركة التل الكبير سلسلة من المآسى قوامها الخيانة حيث كان بالاسكندرية مكتبا يسمى " قسم المخابرات العسكرية" مهمته تنظيم شبكة الدسائس والجاسوسية فى البلاد، وكان على رأس هؤلاء محمد سلطان، كما ان معارك التل الكبير كانت غير متكافئة وقد ساعد على هزيمة عرابى فيها عدة عوامل منها نجاح الخديو فى ضم البدو إلى الانجليز بعد رشوتهم وخيانة بعض الضباط الذين انضموا إلى الخديو وابلغوه بخطط العرابيين ومواقعهم.

(١٦) محاولات الدفاع عن القاهرة والتسليم

أسرع عرابى إلى القاهرة بعد هزيمته فى التل الكبير وذهب إلى مقر وزارة الحربية حيث كان المجلس العرفى مجتمعا، وأخبرهم بأمر الهزيمة وأسبابها واستشارهم فيما يفعله، وبعد استعراض الموقف استقر الرأى على المقاومة بحجة أن القاهرة "غاصة بالجند ومخازن الجهادية ملأى بالمؤن والذخائر والأسلحة ومعدات الدفاع متوفرة".

وقد حاول العرابيون منع الانجليز من دخول القاهرة بمد خطوط الاستحكامات أمام العباسية فتوجه عرابى وبعض الضباط إلى العباسية لإجراء ترتيب النقط العسكرية، ووضع التصميمات لإنشاء خط دفاعى ولما استعرضوا الجند هناك وجدوا أن أعدادهم قليلة، وروحهم المعنوية منخفضة حتى أن احد الضباط هاجم فكرة الدفاع عن القاهرة فقال لعرابى " إذا كان مقصودك فى الباطن أعمال خط نار كما هو متبادر لنا من أفكارك فهذا غلط ولا ينفع بشئ.... والأوفق ترك هذه التشبثات التى لا تفيد سوى الوبال والدمار وتلف البلد فقال عرابى ان قصده ليس ذلك بل مرامه التوجه للعباسية لترتيب النقط والعساكر بصفة كردون فقط للحفظ أولى من ترك البلد سايبة.

ولما وجد عرابى ان شبح الهزيمة باديا على الضباط والجنود عاد إلى المجلس العرفى وعرض عليه الأمر فتقرر الكف عن القتال والتسليم وتحرير عريضة للخديو يلتمسون فيها العفو والاعتذار عما حدث منهم.

وفى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ دخلت القوات الانجليزية القاهرة بدون مقاومة تذكر وسلم عرابى نفسه للقوات الانجليزية كما تم القبض على قادة

الثورة ووضعوا فى أضيق السجون وأصعبها كما امتلأت السجون بمن ناصر الثورة من العلماء المديرين وعمد البلاد والأعيان والتجار حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ثلاثين ألفا من المصريين، وبعد أن وضعت الحكومة يدها على معظم زعماء الثورة أصدر الخديو أمرا عاليا فى ٢٨ ستبمبر ١٨٨٢ بتشكيل قومسيون "لتحقيق إقامة الدعوى على كل من ارتكب جريمة العصيان والتعدى على السلطة الخديوية سواء أكان مرتبكو هذه الجرائم مدنيين أم من العسكريين وصدرت الأوامر بتقديم عرابى وزملائه للمحاكمة كما أصدر الخديو توفيق عدة أوامر بهدف القضاء على العسكرية المصرية وروح الجندية أهمها حل الجيش المصرى، والغاء الرتب العسكرية المعطاة فى مدة الثورة. كما أصدر بعد ذلك أمرا عاليا بجواز التخلص من الخدمة العسكرية بدفع البدل النقدى وقيمته خمسون جنيها كما نص هذا القانون على استثناء العلماء والمدرسين والطلبة وحفظة القرآن وأئمة المساجد ورجال الدين والمثقفين من الخدمة العسكرية كما أصدر أوامر إلى سائر المديرين بتسهيل عبور العساكر الانجليزية فى أنحاء القرى والبلدان التابعة لمديريتهم، وتقديم كافة المساعدات لهم.

وبذلك يتضح رغبة الخديو فى وضع البلاد فى جو من الاستانكة الدائمة.

وهكذا انتكست أعلام الثورة العرابية التى قامت من أجل الدفاع عن شرف البلاد وكرامتها ضد الظلم الداخلى والتدخل الخارجى، وابتلعت السجون رجالها واحس الشعب المصرى بمرارة الهزيمة، ولكنه سرعان ما

التقط أنفاسه فانتقلت الشعلة من جيل الثورة العرابية إلى الجيل الذى حمل الراية بعدها بزعامة مصطفى كامل.

(١٧) محاكمات العرابيين

أورد عرابى فى مذكراته المعنونة "كشف الستار عن سر الأسرار" محاضر استجوابات ومحاكمات قادة الثورة وأنصارها".

وقد بدأ عرابى هذه المحاضر بذكر محضر محاكمته، وتبعه بمحضر استجواب على باشا فهمى، فمحضر استجواب عبد العال حلمى، فمحضر استجواب محمود فهمى المهندس، فمحضر استجواب يعقوب سامى، فمحضر استجواب محمود فهمى المهندس، فمحضر استجواب طلبة عصمت. واستعرض بعد ذلك العديد من المحاكمات مراعيا فى ذلك تقديم الأهم على المهم، خاصة وأن هذه المحاكمات شملت ما يزيد عن الثلاثين ألفا، وفيما يلى نعرض لأهم هذه المحاكمات.

محضر محاكمة عرابى:

بعد أن سجن عرابى فى عابدين تم نقله إلى سجن الدائرة السنية فى يوم الخامس من أكتوبر ١٨٨٢ وكان معه "طلبة عصمت" وسجن كل منهما فى غرفة منفردة. وفى هذا السجن تعرض للأهانة والسب كما تعرض للتهديد بالقتل.

وبعد أن قام قومسيون التحقيق بجمع مستندات الاتهام ضد عرابى وأنصاره، و لم يتم استجواب عرابى فى بداية الأمر بل تم استجواب زملائه

أولا حتى تستغل إجاباتهم قبل التحقيق مع عرابى فى توجيه التهم والأسئلة إليه أثناء التحقيق معه. وبعد الانتهاء من ذلك حدد القومسيون الساعة الثانية من ظهر يوم السادس من اكتوبر ١٨٨٢ موعدا للتحقيق مع عرابى، وطلب من عرابى الاستعداد للدفاع عن نفسه أو تعيين محام عنه وقد اختار عرابى المحامى "عبد الكريم ناجى" ليتولى شئون الدفاع عنه، ولكن هذا المحامى رفض الدفاع عن عرابى خشية بطش الخديوى به ، ونتيجة لذلك بدأ التحقيق مع عرابى فى اول الأمر بدون محام إلى أن عين له المستر "بلنت" ثلاثة من المحامين أبرزهم المحامى "برودلى" وذلك للدفاع عنه وعن باقى زعماء الثورة، وقد تعهد " بلنت" بدفع مصاريف المحامين بالاشتراك مع بعض أحرار الانجليز.

وقد شمل التحقيق مع عرابى جميع الأحداث التى وقعت وبالنسبة لحادثى فبراير وعابدين لم ينكر عرابى دوره فيهما بل ذكر ان عدم استخدام العدل والمساواة فى المعاملات وعدم وجود مجلس نيابى يحفظ للناس حقوقهم كان السبب فيما حدث وأنه كان يرغب فى تقديم طلبات الأمة إلى الخديو، وأن الخديو أصدر عفوه عما حدث فى هذين الموضوعين.

وبالنسبة لاتهام عرابى بأنه طالب بخلع الخديوى فى منزل سلطان باشا وبأنه اعطى أوامره إلى الأميرلاى خليل كامل بالاستعداد للهجوم على سراى الخديوى بعد أن قبل اللائحة المقدمة من انجلترا وفرنسا نفى عرابى ذلك، وإن لم ينكر أنه كان هناك إجماعا من الأهالى بخلع الخديو.

وبالنسبة لاتهام عرابى بأنه قام باستدعاء النواب بدون أوامر من الخديو مع مخالفة ذلك للائحة المجلس، أوضح عرابى أن السبب فى ذلك يرجع إلى قبول الخديو للائحة، وحول إتهام عرابى بعدم الاستجابة لنصيحة درويش باشا مندوب السلطان، بقبول اللائحة ومغادرة مصر، أجاب عرابى بأنه أخبر المندوب السلطانى بأنه كان يود تحقيق طلبه، لولا شدة تعلق الناس به ، وأنه بعد انتهاء الأزمة وانصراف السفن الحربية عن المياة المصرية يمكنه التوجه إلى الآستانة.

وبالنسبة لليمين الذى لقنه الشيخ محمد عبده للضباط، وأقسموا عليه فى وجود عرابى، وخلال توليه نظارة الجهادية أنكر عرابى ذلك. وحول إتهام عرابى بتدبير مذبحة الاسكندرية وبأنه أرسل إلى يعقوب سامى أحد أعضاء لجنة التحقيق فى هذا الحادث بأن يتخذ الاجراءات اللازمة لإبعاد التهمة قدر الامكان عن الجنود والأهالى الوطنيين رفض عرابى هذه التهمة.

وبالنسبة لاتهام عرابى برفض الامتثال لأوامر الخديو بإبطال التجهيزات الحربية بالطوابى وزيادة عدد المدافع، أوضح عرابى بأنه استجاب للأوامر، وأبطل الترميمات، وكتب للآستانة بذلك أما بالنسبة لوضع مدافع جديدة فان ذلك لك يحدث.

وحول إتهام عرابى بتدبير حريق الاسكندرية عن طريق سليمان سامى، وعدم منعه للعساكر من نهب وكسر الدكاكين، نفى عرابى علمه بأن سليمان سامى هو الذى حرق الاسكندرية، أما بالنسبة للمنهوبات فانه أمر سليمان سامى بجمعها من العساكر وحفظها بقصد إيصالها للمحافظة.

وبالنسبة لاتهام عرابى بعدم إطاعته لأوامر الخديو ورفضه الحضور إلى رأس التين للعمل على إنهاء الحرب، لم ينكر عرابى ذلك، بل أوضح أن انتقال الخديوى إلى الاسكندرية بعد حدوث المعارك الحربية هو الذى دفعه إلى ذلك، خاصة وأنه تصور أما أن يكون الخديو أسيرا فى يد الانجليز، أو انه قد إنحاز إليهم.

وحول إتهام عرابى بعد تنفيذه لأوامر الخديو الخاصة بعزله، ولقيامه بمنع أهالى الاسكندرية من العودة إلى بلدهم أجاب عرابى بأن الخديو كان موجودا بطرف الانجليز، وبأنه لم يقف على حقيقة أمره، وأنكر أنه منع المهاجرين من العودة إلى الاسكندرية.

وبالنسبة لاتهام عرابى بمساندة عبد الله النديم فى تهييج الأفكار، وإثارة المشاعر ذكر عرابى أن النديم ليس منسوبا إليه ولا هو مسئول عنه، وأن جرنال الطائف كان ينشر بموافقة الحكومة.

وحول إتهام عرابى بتردد " التاجرحسن موسى العقاد" عليه وتسلميه صورة للبرنس حليم وعليها خطه، فقد اعترف عرابى بتسلمه صورة للبرنس حليم وعليها خطه ولكن أنكر وجود مراسلات بينهما.

وبالنسبة لاتهام عرابى بايداع بعض معارضيه فى السجن بناء على أوامره الخاصة أجاب بأن ذلك كان يتم عن طريق المجلس العرفى وليس عن طريقه.

وحول إتهامه بمحاولته ردم ترعة الاسماعيلية، وسد قناة السويس، وكان رده أنه طالما كانت الحرب قائمة فان واجبه يقتضى الدفاع عن الوطن بكل الطرق الممكنة.

وبالنسبة لاتهام عرابى باقامة خط دفاعى عند العباسية على الرغم من إرساله التماسا إلى الخديوى يطلب فيه العفو ذكر عرابى ان إقامة هذا الخط تم قبل إرسال الالتماس.

وحول إتهام عرابى بالضغط على ناظر الحقانية وتهديده حتى يطلق سراح عنانى باشا من السجن المحكوم به عليه من المجلس المختلط، انكر عرابى ذلك، وأوضح أن ذهابه كان للمعايدة.

وفى محاولة من المحققين لارباك عرابى وإيجاد تناقضات فى أقواله تناول التحقيق موضوع حرق الاسكندرية مرة ثانية، ومسئولية سليمان سامى عنه.

وقد رد عرابى على ذلك بأنه اعطى الأجوبة الكافية وأنه من الغريب ان تتصور لجنة المحققين بان ذلك بتعليمات منه، والحقيقة أنه لا دخل له فيه.

وحول اتهام عرابى بوجود ورقة ضبطت ضمن أوراقه تتضمن سؤال العلماء عن جواز عزل الخديو نظرا لنقضه للعهد واحداثه للفتن بين المسلمين، واختياره ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين، وطلبه من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا بقواتهم فى بلاد حكومته، انكر عرابى معرفته بهذه الورقة وانها لم تكن بخطه كما انها لم تكن بطرفه.

وبعد انتهاء التحقيق مع عرابى اعد أعضاء لجنة التحقيق مذكرة بالتهم الموجهة لعرابى وهى:

١- تدبير حادث قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ وأستندت اللجنة فى ذلك على العريضة المقدمة من ضباط الجيش إلى رئيس مجلس النظار بشأن شكواهم من ناظر الجهادية الذى يفضل الضباط الجراكسة عنهم.

٢- قيام عرابى بمظاهرة عابدين فى التاسع من سبتمبر ١٨٨٢، واستندت اللجنة فى ذلك على اعتراف عرابى بذلك، وبأنه حرر مذكرة إلى قناصل الدول بعزمه على التوجه إلى عابدين.

٣- محاولة عرابى اطلاق سراح عنانى بك من السجن بتوجهه إلى منزل ناظر الحقانية وتهديده حتى يوافق على طلبه واستندت اللجنة فى ذلك على شهادة قدرى باشا ناظر الحقانية.

٤- استغلال عرابى لسلطاته كناظر للجهادية واتفاقه مع محمود سامى البارودى رئيس النظار على ترقيات ضباط الجيش الوطنيين، وإحالة الضباط الشراكسة إلى المعاش واستندت اللجنة فى ذلك على خطاب من عرابى ضبط من مستنداته.

٥- الخروج عند حد الأدب امام الخديو عند مناقشة موضوع الجراكسة واستندت اللجنة فى ذلك على شهادة طلعت باشا.

٦- إيحاء عرابى للنواب بعزل الخديو وتهديد كل من عارضه أثناء الجلسة التى حدثت بمنزل سلطان باشا، وأستندت اللجنة فى ذلك على برقيات بعض الضباط.

٧- مسئولية عرابى عن مذبحة الاسكندرية، واستندت اللجنة فى ذلك على برقية بالشفرة من عرابى، وخطاب من عرابى إلى يعقوب سامى بضرورة إبعاد الضباط والوطنيين عن شبهة هذه التهمة.

٨- القيام بترميم الطوابى، ومخالفة أوامر التوقف عن ذلك، وتشجيع المهاجرين على عدم العودة إلى بلادهم، وأستندت اللجنة فى ذلك على شهادة سليمان سامى وغيره.

٩- الاحاطة بسراى الخديو، ومحاصرته بالجنود. وأستندت اللجنة فى ذلك على شهادات بعض التهمين.

١٠-مخالفة عرابى للأوامر، وإصداره للأوامر المناقضة لأوامر الخديو أستندت اللجنة فى ذلك على شهادة وكيل الجهادية.

وبعد أن عرضنا لأهم الاتهامات المنسوبة إلى عرابى وردوده عليها يتضح أن عرابى كان متماسكا فى اقواله أمام مجلس التحقق ولم يحاول أن يورط أحدا من زملائه فى أمر من الأمور على الرغم من ان المجلس كان يتصيد له الأسئلة التى يمكن أن يورط فيها آخرين، وعلى الرغم من أن بعض زملائه قد ناقضوه أحيانا فى أقواله والأمثلة على ذلك متعددة منها أنه عندما أوضح عرابى فى إجابته على أحد الأسئلة بأنه لم يسجن أحد إلا بأوامر من المجلس العرفى، واجه أعضاء المجلس عرابى بيعقوب سامى الذى سئل

بمواجهة عرابى عن ذلك بصفته كان رئيسا للمجلس العرفى فأجاب بأن جميع من سجنوا كان سجنهم بأمر عرابى، وعلى الرغم من ذلك فلم يقابل عرابى نقد بعض زملائه له بالمثل، بل التمس لهم العذر بشكل ينم على شجاعته الأدبية وعلى أى حال فانه بعد إحالة قرار الاتهام إلى المحكمة العسكرية وإرسال عرابى وزملائه إلى سجن مصر. تحدد صباح يوم الثالث من ديسمبر ١٨٨٢ موعدا لمحاكمتهم، واجتمعت هيئة المحكمة العسكرية بالملابس الرسمية، والنياشين تحت رئاسة "رءوف باشا" وبحضور السير "شارلسن ولسون"، وبعض الانجليز ومندوبى القنصلية الانجليزية العامة، وبعض مكاتبى الجرائد الرسمية، أمر رئيس المحكمة بإحضار عرابى فمثل امام المحكمة ووجه إليه ما يأتى:

يتبين مما اوضحه مجلس التحقيق أنك عصيت وحملت السلاح ضد الحضرة الخديوية، فكنت بذلك مضادا للبند ٩٦ من القانون الحربى العثمانى والبند ٥٩ من قانون الجنايات العثمانى فهل تعترف أنت بنفسك بهذا العصيان"؟.

فوقف برودلى محاميه قائلا: "إن موكلى اعترف بارتكابه العصيان وأنا المحامى عنه أصدق على ذلك وإليكم اعترافا كتابيا منه بهذا الشأن" وبعد ذلك رفعت الجلسة وأستؤنف انعقادها فى الرابعة مساء من نفس اليوم ووجه رئيس المجلس إلى عرابى ما يلى:

"بناء على اعترافك بالعصيان، وإقرارك بحمل السلاح ضد الحضرة الخديوية لم يكن للمحكمة إلا أن تصدر باتفاق الآراء وعملا ببندى ٩٦ و ٥٩

من القانون العثمانى اللذين يقضيان على من أتى العصيان بالاعدام، فالمحكمة قضت بقتلك".

ثم أردف رئيس المجلس ذلك بتلاوة الأمر الخديوى باستبدال القتل المذكور بالنفى المؤبد من جميع الأراضى المصرية وملحقاتها، فإذا عاد إليها ينفذ فيه حكم الاعدام.

وصدر الحكم فى ١٤ ديسمبر بتجريد عرابى من رتبه وأملاكه وتصفيتها وجعل ثمنها تعويضا للمصابين فى الحوادث التى وقعت خلال الثورة وأن يعين له فى مقابل ذلك راتبا سنويا يكفى لمعيشته هو وأسرته.

هذا عن محاكمة عرابى فماذا عن محاكمة باقى زعماء الثورة؟ يذكر عرابى أنه فى جلسة السابع من ديسمبر ١٨٨٢ حكم على "محمود باشا سامى البارودى"، و "على باشا فهمى"، و"عبد العال باشا حلمى" و"طلبه باشا عصمت" بالقتل ثم استبدل ذلك الحكم بالنفى المؤبد، وأنه فى جلسة العاشر من ديسمبر حكم على "يعقوب باشا سامى" و "محمود باشا فهمى"، بالاعدام ثم استبدال الحكم بالنفى المؤبد.

وقد نص قرار الخديو على إعدام أى من هؤلاء إذا رجع إلى الأقطار المصرية أو ملحقاتها، كما رأى مجلس النظار تجريد هؤلاء المتهمين من أملاكهم كما حدث لعرابى وأن يعين لهم مقابل ذلك راتب سنوى يكفى لمعيشتهم. وعلى أثر ذلك شكلت نظارة الداخلية لجنة مخصوصة كلفت بحصر أملاك المحكوم عليهم، وتصفية قيمتها وضمها إلى املاك الحكومة.

وعن باقى محاكمات المشاركين فى الثورة فقد تنوعت بين النفى إلى السودان وإلى بلاد أخرى لمدد مختلفة، والغرامة والسجن داخل مصر.

أما عن من حكم عليهم بالاعدام فكان أبرزهم "سليمان سامى داود" الذى اتهم بحرق الاسكندرية ، وهرب إلى كريت واعيد إلى القاهرة ونفذ فيه الحكم بالاعدام شنقا فى ساحة المنشية بالاسكندرية واليوزباشى "يوسف أبو ديه" الذى لقبه عرابى بالشهيد والذى اتهم بالاشتراك فى المقتلة التى حدثت بطنطا، وبتحريض الناس على قتل الأوربيين مع أن عرابى يذكر أنه كان برا تقيا ورعا وأنه لما رأى حركة الهيجان فى طنطا عند وصوله إليها ذهب حالا إلى المدير وسأل عنه فقيل أنه مريض فى بيته، فذهب إليه ووبخه على عدم اهتمامه بحفظ الراحة والأمن فحقد عليه وتسبب فى قتله.

(١٨) المنفيون إلى سيلان

فى الخامس والعشرين من ديسمبر ١٨٨٢ اقتيد القادة السبعة وهم "احمد عرابى" و"محمود سامى البارودى" و "على فهمى" ، و "عبد العال حلمى"، و"طلبه عصمت"، و"يعقوب سامى" و "محمود فهمى" اقتيدوا من سجن "الدائرة السنية" إلى قصر النيل حيث تلى عليهم نص الأمر الخديوى بتجريدهم من رتبهم، كما أخطروا بتقديم بيانات بأسماء أفراد عائلاتهم الراغبين فى أصطحابهم إلى منفاهم ثم توجهوا بعد ذلك إلى قطار خاص أعد لهم لنقلهم إلى السويس تحت الحراسة المشددة تمهيدا لذهابهم إلى منفاهم بسيلان.

ويذكر عرابى ان الذين سمح لهم بالسفر معه هم ثلاثة من الذكور، وثلاث من الأناث، ويبدو أن عرابى قد حسب نفسه ضمن الذكور الثلاثة حيث لم يسافر معه من الذكور سوى ابنه محمد وأحد الخدم، أما الأناث الثلاث فهن حرمه السيدة: "كلفدان" وأم زوجة ابنه محمد وجارية تسمى "فرح".

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٧ ديسمبر دخلت الباخرة "ماريوتيس" المعدة لسفر زعماء الثورة إلى منفاهم، فاستقلوها، وكان معهم ترجمان خاص استأجروه على حسابهم، وهو "نجيب أفندى ابكاريوس" كما اصطحبهم الضابط الانجليزى الكولونيل "موريس بك" ومعاونه " سليم أفندى عطا الله" بصفته مأمور بتسليمهم إلى حكومة سيلان، وكذلك كان معهم الصاغ على افندى عبادى أحد ضباط البحرية ومعه مجموعة من العساكر لحراستهم.

وفى الساعة الواحدة قامت الباخرة تشق عباب البحر قاصدة جزيرة سيلان ويصف عرابى لحظات وداعه لمصر بقوله: " يا كنانه الله صبرا على الأذى، حتى يأتى أمر الله لك بالنصر. وما زلنا ننظر لجوها وجبالها حتى توارت عن أعيننا".

وبعد أن مكث عرابى فى تلك الباخرة أربعة عشر يوما، ودخلت الباخرة ميناء كولومبو فى التاسع من يناير ١٨٨٢ استقبلهم حاكم الجزيرة وأهلها أحسن استقبال فأعدت لهم حكومة سيلان أربعة بيوت لذوى العائلات منهم وفيها الخدم وكل ما يلزم من أسباب الراحة، كما وفرت لهم أطعمة

وأغذية تكفى لضيافتهم لمدة ثلاثة اشهر، وإلى جانب ذلك فقد ازدحم أهالى الجزيرة من المسلمين لرؤيتهم وتقديم التحية والسلام عليهم.

وقد خصص لعرابى بيت فخم به بستان مساحته أربعة عشر فدانا، وقد اصطحب عرابى معه فى هذا المنزل "طلبه عصمت" و "عبد العال حلمى" لتركهما عائلتيهما فى مصر، وكذلك توجه "محمود سامى" مع "محمود باشا فهمى" للاقامة فى منزل واحد لكون الأول ترك أهله وأولاده بمصر، وانفرد كل من "على باشا فهمى " و "يعقوب باشا سامى" فى بيت على حده لوجود عائلتيهما معهما.

وبعد انتهاء الفترة التى حددتها حكومة سيلان لاستضافة عرابى وصحبه أقام كل منهم فى منزل خاص به.

وخلال تواجد عرابى بالجزيرة توافد عليه أعيانها، وكانوا يعدون له الولائم ويستقبلونه بالتظاهرات، كما زاره المستر "بلنت" ومحاميه المستر "برودلى" وغيره من المسئولين الانجليز، وقد بدأ عرابى فى شغل أوقات فراغه يتعلم الانجليزية. فكتب اسمه وعنوانه إلى محاميه بخط يده فى يونيو ١٨٨٣، ولكنه لم يستطع أن يرسل خطابات إلى محاميه إلا فى يناير من عام ١٨٨٦ وخلال تواجد عرابى وزملائه بالجزيرة حدث شقاق وخلاف بينهم أودى إلى القطيعة بين معظمهم، ويبدو أن رداءه الطقس ومحنه الغربة، والبعد عن الوطن، كان السبب فى ضيق النفوس. كما يبدو أن المحامى "برودلى" كان السبب فى ذلك ايضا خاصة بعد أن أطلع عرابى على إجابات

اصحابه المضاد بعضها له أثناء التحقيق مما أدى إلى استياء عرابى من زملائه ووقوع النفور بينهم.

وبعد مضى اربع سنوات على النفى احس زعماء الثورة بالملل الشديد لدرجة أن "يعقوب سامى" ذكر فى رسالة له إلى "برودلى" بأن هذه السنوات مضت وكأنها آلاف السنين ونتيجة لذلك عرض "برودلى" عليهم إرسال خطاب إلى ملكة بريطانيا يطلبون فيه عودتهم إلى وطنهم وعرض حالتهم على الخديوى توفيق خاصة وانهم يشتاقون للعودة إلى وطنهم ولكن طلبهم لم يستجب له.

وتكررت المحاولة خلال زيارة الدوق " أف كنوت" ثالث انجال ملكة بريطانيا لجزيرة سيلان والسير "وليم جريجورى" كاتم أسرار الملكة ولكن بشكل آخر حيث طلب عرابى وزملاءه نقلهم من جزيرة سيلان إلى جزيرة قبرص لموافقة هوائها إلى هواء مصر ومراعاة لصحتهم وقد رفضت الحكومة المصرية هذا الطلب، وأشارت بإرسالهم إلى بلاد الكاب فى جنوب أفريقية، وإلى زيلع فى الشرق منها.

ونتيجة لذلك استمر الزعماء السبعة فى سيلان، ثم بدأت اعدادهم فى التناقص حيث توفى "عبد العال حلمى" بكولومبو ودفن بها، كما وافقت الحكومة المصرية على عودة "طلبة عصمت" إلى مصر بناء على قرار الأطباء ومصادقة حاكم سيلان.

وعاد "محمود سامى" إلى مصر بعد أن فقد بصره وقرر الأطباء بلزوم عودته إلى بلاده لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه.

وتوفى يعقوب سامى ودفن بمدينة كندى التى لم يبق بها سوى عرابى وعلى فهمى حتى زار ولى عهد بريطانيا هذه المدينة وأعطى لعرابى وعدا بالعفو عنه وبعد تولى الخديو "عباس الثانى" اريكة الخديوية أصدر أوامره فى السادس من نوفمبر بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى إحداث الثورة العرابية فعاد عرابى وعلى فهمى إلى مصر بعد أن ودعهما أهل مدينة كندى أحسن وداع.

وقد وصل عرابى إلى مدينة السويس فى ٢٧ سبتمبر ١٩٠١ فنزل فى بيت الشيخ البخارى بعد أن رفض "مصطفى بك ماهر "محافظ السويس استقباله.

ونتيجة لذلك ابرق عرابى إلى "فخرى باشا" قائمقام الخديوى بطلب إعداد ما يلزم لنقله إلى القاهرة فكتب " فخرى باشا إلى مصلحة السكة الحديدية بتخصيص صالون لنزول عرابى ومن معه إلى القاهرة على نفقة الحكومة المصرية فغادر عرابى السويس إلى القاهرة فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٠١، وكان ازدحام الناس لتوديعه فى محطة السويس كبيرا، وكذلك كان الازدحام لاستقباله فى الزقازيق، وبنها، وفى القاهرة كبيرا أيضا على الرغم من محاولات الحكومة منع ذلك.

وعلى الرغم من غياب عرابى عن وطنه تسعة عشر عاما فان بعض الصحف لم تقابل عودته بالترحاب فهاجمته جريدة اللواء، واتهمه مصطفى كامل بالجبن، والضعف، والتعمد فى ادخال الاحتلال إلى مصر، واستمرت هذه الجريدة فى حملتها على عرابى فنشرت القصائد الطويلة ردا على من

يمدحونه، كما تعرض عرابى لنقد أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدة نذكر منها:

صغار فى الذهاب وفى الاياب   أهذا كل شأنك يا عرابى

والغريب فى الأمر ان جريدة المقطم الممالئة للاحتلال تقف مناصرة لعرابى ومدافعه عنه.

وقد حاول عرابى عقب عودته إلى مصر مقابلة "الخديو عباس الثانى" ولكنه لم يفلح فى ذلك، ثم تكررت زياراته للمسئولين فزار عرابى مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار، وابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية، وبطرس غالى ناظر الخارجية، وأحمد باشا مظلوم ناظر المالية وغيرهم من الوزراء فى بيوتهم، كما قابل اللورد كرومر.

ونتيجة لسوء أحوال عرابى الاقتصادية والضنك المالى الذى تعرض له نتيجة لمصادرة أمواله قدم التماسا إلى الخديو يطلب فيه رد أملاكه المصادرة، كما قدم التماسات مماثلة إلى رئيس النظار ونظار المالية والحقانية والخارجية والجهادية والاشغال والمعارف ولكن محاولاته لم تجد آذانا صاغية من أحدهم.

ونتيجة لذلك كتب عرابى إلى اللورد كرومر يطلب توسطه فى زيادة مرتبه لعدم كفايته، ورد أملاكه المنهوبة دون حكم شرعى أو قانون، وكان رد اللورد أنه يرفض التدخل فى مثل هذه الأمور وانه يأسف كل الأسف حيث ان هناك أمورا تمنعه من ذلك يضاف إلى ذلك ان عرابى انتهز فرصة زيارة ولى عهد انجلترا لمصر فقدم له عريضة يطالبه فيها بالتدخل لرد أملاكه،

وكان رده على ذلك أن يأسف كل الأسف لمساعدته حيث ان هناك أمورا تمنعه من التدخل فى هذا الموضوع.

وفى العاشر من مايو ١٩٠٨ أرسل عرابى بشكوى إلى وزير خارجية بريطانيا، ورئيس الوزراء ، ورئيس مجلس العموم البريطانى وإلى كثيرين من أحرار الانجليز يطلب فيها العدل والانصاف، ورد أملاكه المنهوبة بغير قانون أو محاكمة.

ومع ذلك فقد ذهبت محاولاته إدراج الرياح، وعلى الرغم من كل هذه المحاولات التى لم يقدر لها النجاح فان عرابى لم ييأس من المطالبة بحقوقه وتوقع أن المستقبل سيكون كفيلا بردها له فقال "تركت لأولادى وحفدتى من بعدى، وذريتى جيلا بعد جيل الحق فى المطالبة بحقوقى، وأملاكى المنهوبة من الحكومة المصرية، ومن المجلس النيابى المصرى، حين تسترد الأمة حريتها واستقلالها ومجلسها النيابى، وأنى واثق أن أمتى المصرية الكريمة لا تنسانى ولا تترك أولادى حين يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة أعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر".

وفى العشرين من شهر سبتمبر ١٩١١ اشتدت وطأة المرض على عرابى، وبعد يومين قضى نحبه ولم يشيعه إلى مقر الأخير أو يحضر مأتمه رجل رسمى واحد مخافة الاحتلال والخديو، ولكن مصر الوفية أبت إلا أن تكرمه ميتا وأن تباعدت عنه حيا فأحاطت بنعشه الألوف من أبنائها فى جنازة شعبية عظيمة سارت فى خشوع حتى قبره بالإمام الشافعى.

وعندما قامت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ سعت لانصاف عرابى وثورته فأعادت لعرابى اعتباره فذكر اللواء "محمد نجيب" أن عرابى جدير بأن يخلد اسمه فى مقدمة الأبطال، وحق له ان تكرم الأمة ذكراه بما جاهد فى سبيلها، وبما ضحى لرفعة شأنها، ولاعلاء كلمتها على كلمة الطغاة والمستبدين، كما قام مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٥٣ بمصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد على، وتعيين لجنة للنظر فى أموال أحمد عرابى، وغيره من ضحايا الثورة العرابية ممن صودرت أموالهم بسبب الثورة وردها إلى ورثتهم.

وإلى جانب ذلك فقد أشاد جمال عبد الناصر فى أكثر من خطبه من خطبه بعرابى وبثورته كما أخذ أبناء هذا الجيل فى التعاطف مع عرابى وثورته، وفى ضرورة تحديد مكانته بين رواد الحركة الوطنية فى مصر.

الفصل الثانى

المفاهيم الجديدة التى طرحها رجالات الثورة العرابية

لقد سبقت أفكار العرابيين السياسية أفكار أبناء وطنهم فكانت جديدة عليهم لم يسمعوا بمثلها من قبل حيث نبهت أفكارهم إلى موضوعات جديدة ايقظوا بها الرأى العام بعد فترة رقاد فظهر مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الوحدة الوطنية، وفكرة الجامعة الشرقية وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له وتحدثوا عن الأحزاب وأهمية الاهتمام بالرأى العام وفكرة الجمهورية وقد استطاعوا نشر هذه الأفكار والآراء فى أكبر عدد ممكن من أبناء وطنهم، وفيما يلى نعرض لذلك:

أولا: مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين:

لم تفقد مصر مقومات الأمة على مر تاريخها، ولكن وعى المصريين بهذه الفكرة لم يظهر إلا حديثا فقد تصدى الشيخ محمد عبده لتعريف معنى الوطن فقال: "الوطن فى اللغة محل الانسان.. فهو السكن بمعنى أن نقول استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها أى اتخذوها مسكنا"، ثم حمل النديم هذه المهمة فكان أول كاتب مصرى يعالج مشكلة القومية المصرية بأسلوب شعبى سهل على أبناء وطنه استيعاب المفاهيم القومية التى كان إدراكها قاصرا على المثقفين والارستقراطيين فعرف الوطنية والأسباب التى تؤدى إلى حفظها بقوله "يزعم كثير من الناس أن الحياة الوطنية هى الجمهرة.. أى تجمع الأمة

فى مكان متكثرين متضامنين... وليس كذلك فان وفرة العدد والتجمع لا يعنى شيئا من الفروع من العلوم والصنائع الموصلين إلى توسيع دائرة العمران وحفظ الوطن من العاديات بما ينشأ عن العلوم من احتكاك الأفكار و تبادلها ثم وصفها بانها: " السر الذى تبعثه الخواطر إلى الأفكار فتتوجه بالهمم إلى أعالى الأمور على مراقى الحرية ولا يقوم بهذا السر فى كل أمة إلا رجال العزائم وأهل الإقدام على صعاب الحوادث يقطعون العقبات بالصبر على المشاق.

كما ذكر أنه لكى تحفظ الوطنية بين الأجناس القاطنة فى الوطن الواحد فلابد من اتباع مبدأ المساواة بين كافة الأفراد فى الحقوق والحريات العامة بغض النظر عن الجنس أو الأصل أو العقيدة أو الدين فقال ان حفظ الوطنية فى الأجناس القاطنة فيما يسمى وطنا يكون " بتوحيد المعاملة والسير فى كل ما من شأنه حفظ الوطن وعمارته وانتظامه وامتداد تجارته وتحسين صناعته لا يفرق بينهم جنس ولا دين".

كما صور النديم الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك عرقا من عروقه إلا وقد أجرى فيه ماء الوطنية، ثم عرف الوطنى بأنه الانسان الذى يحفظ بلاده ولغتها وعاداتها الجميلة، ويوسع العمران بالصنائع والمعارف والأمن وتكثير الثورة.

ولما كانت الوطنية تعنى حب الوطن والشعور بارتباط داخلى نحوه يجعل الانسان يعمل من أجله ويضحى فى سبيله ويقتحم المهالك ويبذل النفس

والنفيس فى سبيل حريته واستقلاله فقد ذكر النديم أن أبناء مصر هم الذين ينتسبون إليها وتنسب إليهم، ولا يعرفون غير بلدهم".

ونتيجة لتدهور أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتدخل الأجنبى السافر فى شئون مصر، وسوء إدارة الخديو، وفساد الأحوال المالية، وظهور نخبة من المصلحين الذين لديهم القدرة على التعبير عن مطالب المجتمع وتعبئته ثم تصاعد التذمر الشعبى نتيجة لكل هذا ظهرت فى مصر يقظة قومية فى أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر تبلورت فى التخلص من السيطرة الأجنبية على مختلف أشكالها، وطرحت فكرة "مصر للمصريين".

لقد ترددت كلمة مصر للمصريين فى كتابات الصحفي " يعقوب صنوع" حيث نادى "ان تكون مصر للمصريين"، كما ترددت فى كتابات عبد الله النديم وحسن الشمسي والشيخ محمد عبده، وخصوصا بعد زيادة التغلغل الأجنبى فى البلاد والهجرات المكثفة التى شهدتها مصر سواء من الأوربيين خصوصا الفرنسيين والايطاليين واليونانيين أو من رعايا الدولة العثمانية كالسوريين واللبنانيين، وتغلغلهم فى كافة نواحى الحياة المصرية حتى أنهم شكلوا خطرا على أوضاع المصريين الذين وجدوا أن فرص العمل بدأت تضيق فى وجوههم بينما تتسع لهؤلاء فنادى النديم المصريين بأن يسعوا خلف شئ واحد هو حفظ مصر للمصريين، كما ذكر ان السلطة ايضا كانت للمصريين قديما وليست لأحد من الأوربيين أو الترك، كما أوضح خطورة

تغلغل الأجانب فى وظائف البلاد وما ينتج عنه من أضرار وطالب بتأييد الحركة الوطنية التى تطالب بأن تدار هذه الوظائف بأيد مصرية.

وفى غمرة الأحداث حاول الاستعمار وأذنابه ايجاد ثغرة بين عنصرى الأمة عن طريق ترويج الشائعات المغرضة وتشجيع الجمعيات التبشيرية مما جعل النديم يشعر بالخطر على الوحدة الوطنية فقام بحملة شديدة ضد هؤلاء موضحا فشل مبتغاهم وداعيا أبناء الوطن على اختلاف أديانهم إلى التمسك بالوحدة الوطنية.

ثانيا: العرابيون والوحدة الوطنية:

رغم ان التاريخ المصرى شهد وحدة عنصرى الأمة (المسلمين والأقباط) عبر مراحله المختلفة فان ازدياد النفوذ الأوبى فى مصر مع بداية القرن التاسع عشر قد رافقته حملة مكثفة لالصاق تهمة التعصب الدينى بالمصريين زاد أثرها أثناء تواجد قوات الاحتلال الانجليزى بأرض الوطن، واستغلها الانجليز كوسيلة لتبرير احتلالهم لمصر بحجة المحافظة على الأمن وحماية أرواح وممتلكات الأجانب كما استخدموها للتفرقة بين عنصرى الأمة حتى تضرب الوحدة الوطنية وينشغل أبناء الوطن عن المطالبة بالاستغلال وقد لاحظ ذلك خطيب الثورة العرابية عبد الله النديم فحرص على توضيح الأمور لأبناء وطنه فتغنى بروح التسامح بين المصريين وأشاد باختلاط المسلمين والأقباط ثلاثة عشر قرنا من الزمان فقال "قضى المسلمون مع الأقباط ثلاثة عشر قرنا، وهم فى اختلاط أهل بيت، ومعاملة عشيرة، واتحاد عائلة، وما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين بل بقينا

معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار ثم تحدث عن محافظة كل منهما على الآخر وخشيته على أمواله فقال "ان القبطي يسكن في قرية من قرى الريف وجاره المسلم يحرسه ويقضي له أشغاله ويحفظ له أمواله"، كما تحدث عن روح التسامح الديني بين كافة الأجناس التي تقطن مصر فقال: " الأجناس المختلفة الدين والوطن واللغة يساكنوننا معاشر المصريين فلا يجدون إلا صدروا رحبه ووجوها ضاحكة، والسنة رطبة بالتحيات والتهاني"، كما قال أنه " رقم وجود الألوف المؤلفة من أخوان الوطنية الأقباط في الوجه القبلي والبحري، ومخالطتهم المسلمين دارا لدار، وغيطا لغيط لم يسمع أن مسلما تعدى على قبطي فقتله في بلد من البلاد " وذكر ان شعب مصر فخور بوحدته الوطنية فقال "نحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التي لا تنحل، عقدتها ولا يبدد نظامها"، كما قال ان " مصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع مثلها في الأقطار إذ كانت الأمة الاسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت يتعاونون على المعاش ويتعاورون الأعمال ويتقاسمون النظر في شئون البلاد".

لقد أوضح النديم لدعاة التفرقة عدم جدوى محاولاتهم للتفريق بين عنصري الأمة فقال "ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها في شأن مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التي تقودها أوربا تغريرا وتضليلا ثم حاول ان يوضح الدعايات الكاذبة التي يروجها بعض الأوربيين فقال ان

أوربا لا تعرف حقيقة الشعب المصرى لأن رجال الصحافة بها لا يستقون المعلومات التى يكتبونها من مصادرها الحقيقية بل من جلسات المقاهى أو من الخدم الذين يعاشرونهم لمدة يوم أو يومين"، وذكر انه حتى فى أحرج الأوقات التى عاشتها مصر أثناء الحروب الصليبية التى تحرك لها عالم أوربا برمته وامتدت قرنين، وكان لمصر فيها الشأن الأكبر واليد القوية فلم يسمع أن مسلما تعدى على قبطى فى اشتعال نار الحروب، ولعدم اعطاء الفرصة لان يبث أحد المغرضين روح الفرقة بين أبناء الوطن طالب النديم بايجاد جمعية مصرية من المسلمين والأقباط للبحث فى الوطن وخصائصه وواجباته، وضرورات حياته، والمحافظة على ما بين المصريين وغيرهم من روابط المحبة فقال: " ان تكوين جمعية من الفريقين يفيدهما فوائد جمه، ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية".

ثالثا: العرابيون والديمقراطية:

لقد انفعل العرابيون بالمظالم الواقعة على أبناء وطنهم وما يتعرضون له من سوء إدارة نتيجة للحكم المطلق الذى أثقل كواهلهم فكانت خطب خطيب الثورة العرابية ومقالاته فى تلك الفترة توضح ان هناك روحا مضطهدة فاض بها الاضطهاد فقامت تدافع عن نفسها وقد صور ذلك بقوله " وقد كانت البلاد على سعة أطرافها كليمان أعد للمذنبين، ومجلس جزاء هيئ لأرباب الجرائم والخاطئين، ولو ان سائحا جويا صعد فى درجات الهواء إلى حد يرى ويسمع من تحته من أهالى الديار المصرية إذ ذاك لرأى أمة تتقلب على جمر العذاب على غاية من الاختلاط والاختباط، كما رأى أنه لا يمكن إصلاح الأحوال

والاستبداد مطبق على رقاب المحكومين ونادى بتحديد الحقوق والواجبات لكل من الحاكم والمحكوم.

وذكر ان الشرق لم يعرف الديمقراطية لاستبداد حكامه وجهاله شعوبه فقال " لم يكن عند ملوكهم ثقة باعيانهم ووجهائهم ، ولا يحبون كثرة العقلاء خوفا من التغلب الذى يحلم به كل ملك شرقى.. نراهم إذا نبغ فى ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء".

كما طالب النديم بتكوين الأحزاب مثلما يحدث فى أوربا حتى يكون هناك من يحاسب الحكام على أفعالهم ، ويستخلص من تضارب الأفكار واختلاف الأحزاب قرائن تلائم التابع والمتبوع فكتب فى الاستاذ قائلا: " علينا معاشر المصريين خصوصا والشرقيين عموما أن نبحث فى طرق أحزاب أوربا وروابطهم وكيفية سيرهم، وموجب استمرارهم على ما هم فيه ، وتقلدهم بسير لطيف، واعتدال فى الحركات والسكنات مع لزوم الهدوء وحسن الانقياد والمحافظة على حقوق الأجانب والنزلاء والانتباه لدسائس الدخلاء وفتن الإجراء ، كما طالب بأن يكون لكل حزب جرائده التى تعبر عن أفكاره فقال " ولتكن لكل فريق جرائد تنشر أعماله وتؤيد أقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحا أخذه من أفكارها من مجموع أعمال الحزب أو آراء عقلائه بحيث تلزم مشربا لا تتحول عنه بتحول الأحوال ولا تتلون أمام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها ان تكون مضاده لغيرها من الجرائد فى كل ما يكتب".

وبما أن الديمقراطية الكاملة لا تكون إلا إذا كان حق الانتخاب وحق الترشيح مقررين للجميع دون تمييز بسبب الثروة او المولد فقد طالب النديم بتمثيل الفقراء فى المجالس النيابية لان وجود الأغنياء وحدهم يجعلهم يوجهون سلطة التشريع حسب أهوائهم وحسب ما يخدم مصالحهم فقال "ان كان الانتخاب قاصرا على الأغنياء دون الأذكياء كان مجلس النواب وبالا على الشعب والوطن.. لأن الغنى مولع بالاستبداد والاستعباد " ووجوده فى مجلس النواب علة لزيادة هلاك الشعب وتشريع للقوانين الظالمة له كما انتقد الأمم التى تسير على هذا المنوال وذكر انها "مقيدة بقوانين وضعت لأغراض ذاتية وأفكار مقصورة على فرد أو بعض أفراد ولا يفقه تلك القوانين إلا واضعه.. ومجالس مقصورة على أرباب الثورة أو أهل الكلام وليس كل الأمة".

والجدير بالذكر أن النديم كان فى ذلك مخالفا لرأى الشيخ محمد عبده الذى طالب بقصر الانتخاب على المتعلمين وذلك أثناء خطبته فى احتفالات جمعية المقاصد الخيرية فى ١٨٨٢/٢/١٣ ابتهاجا بتعيين البارودى حيث قال " انه لم يعهد فى أمة من أمم الأرض أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة انفسهم بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالحياة والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك، كما قال مخاطبا الأغنياء هل رضيتم واخترتم عن رؤية وبصيرة ان تشاركوا سائر امتكم فى جاهكم ومجدكم، وتساووا الصعاليك حبا فى العدالة والانسانية".

وقد اعترض النديم على ذلك بقوله ان الفلاحين هم الأغلبية العظمى من سكان البلاد، وهم أصحاب المصالح الحقيقيون وادرى بمشاكلهم من غيرهم.

هكذا عارض النديم سيطرة الأغنياء على مجلس النواب وطالب بتشكيله من كافة الطبقات حتى يكون الفقراء رأيهم فى الدفاع عن مصالحهم، وحتى تسمع أصواتهم موضحا أن الديمقراطية الصحيحة لابد أن يتدرب عليها الشعب ويمارسها، ولهذا قال "ان الشئ فى أوله لا يجئ على صورته الحسنة فى سائر الجهات بل لابد من النقض والابرام والخطأ والتصويب والتغيير والتبديل حتى تتقدم الأفكار وتتحسن الأعمال ومن هذا يتضح ان النديم لم تقف أفكاره عند حدود الديمقراطية السياسية التى "ظلت تسود الفكر المصرى وتطبع أغلب كتابات الصحفيين والكتاب المصريين حتى نهاية الحرب الأولى"، بل أرسى تقليدا جديدا للديمقراطية وهو الديمقراطية الاشتراكية حيث داقع عن حق الانتخاب للجميع دون تفرقة بين غنى وفقير أو متعلم وجاهل، واعتبر ان ذلك سيؤدى إلى الاصلاح السياسى والاجتماعى، متفقا فى ذلك مع رأى أستاذه الافغانى الذى يرى أن كل إصلاح إلى زوال ما لم ينبعث من أعماق الجماهير"، كما ناشد النديم الحاكم أن يتدرع "بدرع الوقاية من شهوات نفسه، وأغراضه الذاتية وينزل عن جواد الجبروت إلى أرض التواضع واللين... وشاور فى أمره ولى العقل والخبرة.. وقلد أعماله أهل العفة والأمانة والصدق".

هكذا وقف النديم حربا على الحكم المطلق والاستبداد، ورأى أن الأخذ بمبادئ الحرية وأساليب الحكم الدستورية واجب على الحكومات حتى تستطيع الوصول إلى التقدم والازدهار لبلادها، كما رأى أن تكون السيادة والسلطة للأمة لأن الحكام لم يوجدوا إلا لخدمة الشعب.

وبما أن الديمقراطية تعتمد فى وجودها على حرية تكوين الرأى وحرية التعبير عنه، وبما أن بناء الحياة الديمقراطية لا يتم بدون الاهتمام بالرأى العام وتوعيته فان النديم لم يغفل الحديث عنه.

رابعا: العرابيون والرأى العام:

ومع أن مصطلح الرأى العام كان حديث الاستعمال فى مصر مثل الكثير من المصطلحات السياسية فان النديم لم يغفله حيث انه عامل هام فى تحريك المجتمع نحو القضايا ذات الأهمية القومية فقال: " أن النظر فى المصالح المدنية والواجبات الوطنية لا يكون إلا فى الأندية والمجامع بتبادل أفكار عقلاء الأمة سؤالا وجوابا وسلبا وإيجابا بما عند الأفراد من الأخبار الطارئة والحوادث العارضة والمسائل العلمية والوسائل التجارية والبواعث الوطنية والحوافظ الملكية والخصائص الجنسية والفوائد اللغوية والمحسنات المدنية فانه يستحيل على فرد ان يستقل بهذه العلوم نظرا وبحثا وتنفيذا مهما ارتفعت درجته من المعارف، واتسعت أفكاره بالتجارب بل لابد له من ايد يكثر به العمل والسنة تنتعش بها العوائد وتسمع القاصى والدانى ممن تجمعهم الوطنية أو تضمهم الجنسية او تعمهم السلطة الدولية، وهذا لا يكون إلا باجتماع العقلاء وتبادل الأفكار المنتج للرأى العام.

ومن ذلك يتضح أن النديم دعا إلى تبادل الأفكار بين أبناء الوطن عن طريق عقد الاجتماعات فى الأندية وأماكن الاجتماعات الأخرى وذلك للنظر فى أحوال البلاد وبحثها بحثا عاما يقوم على الوعى والتفكير وإيثار الذات لأن الإجماع على المسائل الهامة ضروريا، وعن هذا الطريق تتسع أفكار الشعب وتزداد تجاربه ويعرف ماضيه وحاضره وتنبعث فيه روح الحمية فيحافظ على حقوقه ويعرف واجباته لأن الرأى العام الحقيقى يجب أن يستند على تفاعل أكثر بين الشعب، وهذا التفاعل ينتج عندما تدور بينهم المناقشات فى أحوال البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

ولما كان الرأى العام وقوة الجماهير لا يزدهران إلا فى ظل الديمقراطية حيث يتمتع أفراد الشعب بكافة صور الحرية فقد أكد النديم على ضرورة حرية الفكر لأن غيابها كان السبب فى تأخر البلاد وطالب "باطلاق حرية الكتاب فى نشر أفكارهم".

هكذا استطاع النديم أن يبسط لأبناء وطنه أفكاره عن الديمقراطية ومزاياها وأسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق وأهمية التشاور بين أبناء الوطن، وضرورة تكوين الأحزاب وحق الانتخاب والترشيح للجميع بغض النظر عن ثروة أو علم أو غيرهما متخطيا فى هذا الأفكار السائدة عن الديمقراطية ومبررا طريقا جديدا لها، وهى الديمقراطية الاشتراكية ثم أوضح أهمية الاهتمام بالرأى العام وتكوينه حتى يستطيع المساهمة فى بناء الحياة الديمقراطية، ولما كان من بين أفكار العرابيين عزل الخديو وإقامة جمهورية فاننا سنتعرض لهذا الموضوع.

خامسا: العرابيون وفكرة إقامة جمهورية

لما قامت الثورة العرابية دار نقاش بين العرابيين حول أنواع الحكومات وأساليبها، والطريقة المناسبة لحكم مصر وكان النظام المفضل لديهم هو النظام الجمهورى، فالأفغانى حاول هدم نظرية حق الملوك فى السيطرة على الشعوب، كما هاجم نظام الحكم فى مصر، واقترح على الشيخ محمد عبده قتل الخديوى اسماعيل ولما تعذر عليهما ذلك رأى ضرورة عزله ، وإحلال حكومة جمهورية فى مصر مكانه، وإلى جانب ذلك فقد كان معظم العرابيين يحلم برئيس جمهورية ينتخبه مجلس شورى النواب أو على الأقل تعيين مجلس وصاية يرأسه محمود سامى البارودى وعرابى ليتولى الحكم مكان الخديوى توفيق ولكن هذه الأفكار لم تلق تأييدا كافيا من العلماء والعديد من رجال الدين خشية فصل الدين عن الدولة، لتصورهم ان إقامة جمهورية يعنى الانفصال عن الدولة العثمانية التى كان تعد من وجهة نظرهم رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا، وقد أوضح ذلك محمود سامى البارودى خلال اجتماع للعرابيين بقوله " لقد كنا نرمى منذ بداية حركتنا قلب مصر إلى جمهورية مثل سويسرا، ولكننا وجدنا العلماء غير مستعدين لهذه الدعوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم، ومع ذلك فسنجتهد فى جعل مصر جمهورية قبل أن نموت".

وبالرغم من فشل الثورة العرابية فى تحقيق أهدافها فان فكرة الحديث عن الجمهورية لم تتوقف فحملها العديد من المفكرين والكتاب وعلى الرغم من أن هذه الأفكار كانت جديدة على المصريين فانهم لم يجدوا صعوبة فى

استيعابها، وتبلورت الرؤية الوطنية للجماهير فى المطالبة بالإصلاح السياسى والاجتماعى.

سادسا: علاج مشاكل مصر كما رأها عرابى:

١- كتب عرابى لانحة تضمنت ضرورة المحافظة على امتيازات مصر الوطنية التى حصلت عليها ، ومقاومة كل من يحاول اخضاعها ، ومن يريد جعلها ولاية عثمانية، واشتراط تأييد سلطة الخديو بعدم عودة الاستبداد والأحكام الظالمة التى أورثت مصر الذل والمطالبة بحكم الشورى، وإطلاق عنان الحرية للمصريين وان تكون مصر بيد المصريين وضرورة خضوع الأجانب للقوانين المصرية، وحرية المطبوعات ونمو المعارف وتعميم التعليم، وان يشمل جميع كافة عناصر الأمة على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم، للعمل على إصلاح أمور البلاد فى شتى مناحيها.

٢- ترديد عرابى لمبدأ ان تكون مصر للمصريين وللنزلاء حسن الضيافة ومزيد الإكرام، مما يوضح ضيق المصريين من التغلغل الأجنبى فى شئون البلاد، والهجرات المكثفة التى شهدتها مصر سواء من أوربا وخصوصا الفرنسيين والايطاليين واليونانيين أو من رعايا الدولة العثمانية كالسوريين واللبنانيين وتغلغلهم فى كافة مناحى الحياة المصرية حتى أنهم شكلوا خطرا على أوضاع المصريين الذين وجدوا ان فرص العمل بدأت تضييق فى وجوههم بينما تتسع لهؤلاء.

٣- البيان الذى كتبه عرابى وقت رحيله إلى سيلان والمكون من تسعة عشر بندا، والذى أوضح فيها رأيه فى علاج مشاكل مصر، والاصلاحات اللازمة لانتظام أحوال البلاد، وتطرق فيها إلى سلطات الحاكم وضرورة التزامه بالقوانين، وانتخاب مشايخ البلاد، وانتخابات مجلس النواب، وعدم تمييز الأجانب على سكان البلاد المصريين، ومنع المرابين من استغلال الأهالى وطريقة تسديد الديون، والضرائب والسخرة والاهتمام بالترع والمصارف وحفظ جسور النيل، وضرورة توحيد القوانين القضائية فى المحاكم، وإلغاء المحاكم المختلطة، والحد من الموظفين الأجانب فى المصالح الحكومية، وحرية الملاحة فى قناة السويس، وتعميم التعليم وتوسيع دائرته...إلخ.

٤- قول عرابى خلال مغادرته لمصر وبعد قيام الباخرة التى أقلته وصحبه إلى سيلان "ولينا وجوهنا شطر مصر ننظر فى جمالها وحسن منظرها ونودعها بقولنا يا كنانة الله صبرا على الأذى حتى يأتى الله لك بالنصر".

٥- ان عرابى خلال فترة نفيه لم ينس وطنه، بل كان يرغب فى نقل كل شئ مفيد بسيلان لتجربته فى مصر والاستفادة منه فحاول نقل ثمار بعض المزروعات إليها لاستنباتها فيها، وحتى يعمم انتشارها بها فأرسل تقاوى من البن اليمنى تكفى لزراعة عشرين فدانا إلى صديقه احمد المنشاوى لتجربة زراعتها فى مصر كما أرسل تقاوى بعض

الفواكه لهذه الغرض أيضا مثل أنواع جديدة من المانجو والموز الأحمر والحبهان والقرنفل والفانيليا.

٦- نصيحة عرابى للناشئة المصرية بأن تجد وتجتهد وتعمل ليلا ونهارا على استرداد مجد وطنها واستقلاله وحريته المسلوبة، ومطالبتهم للانجليز بالجلاء، ودعوته الأمة المصرية إلى التباعد عن التمدن الغربى المزيف فلا تفعل المنكرات التى نهى الله عنها، وتأمر بالمعروف الذى أمر به الله، وان تترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان تقيم شعائر الدين الحنيف وتحمى مناسكه، كما ناشدهم ان يشدوا أواصر الإخاء بين ابناء وطنهم، ويطهروا قلوبهم من الغل والضغينة ويعملوا يدا واحدة، ورجلا واحدا لرفع شأن بلادهم وإعزاز كلمة دينهم.

٧- قول عرابى "إنى واثق أن امتى المصرية الكريمة لا تنسانى ولا تترك أولادى حتى يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة أعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر".

وفى النهاية يمكن القول أن عرابى كان زعيما مخلصا يعمل بوحى من وطنيته قد يصيب أو يخطئ، على قدر ما اجتمع له من الكفاية والقدرة. وإن ما كتبه كان محاولة منه حاول فيها واجتهد قدر ثقافته، وامكاناته لإبراز وجهة نظره فى إحداث عايشها وشارك فيها.

قائمة مصادر ومراجع الفصل الأول والثانى

أولا: وثائق غير منشورة:

١ـ دار الوثائق القومية:

- أوراق خاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى.
- أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين.
- محافظ الثورة العرابية.
- محافظ مجلس النظار.
- محافظ مجلس النواب.

٢ـ دار المحفوظات العمومية

محافظ الداخلية ، محفظة رقم ٦ ، ٤٤

ثانيا: الوثائق البريطانية:

Public Record Office , Fo: 407- 18

ثالثا: المخطوطات:

- تقرير عن الحوادث التى حصلت فى مصر من تاريخ يناير ١٨٨١ لغاية أكتوبر ١٨٨٢.
- كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية ١٢٩٨ و ١٢٩٩هـ الموافق ١٨٨١- ١٨٨٢.

- مذكرات محمد فريد – تاريخ مصر من ابتداء ١٨٩١ القسم الأول- الجزء الرابع.

رابعا: المصادر والمراجع العربية:

- أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤.
- الياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا ١٨٦٣- ١٨٧٩ المجلد الثانى ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٣.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية، القاهرة، دار المعراف، ١٩٦٥.
- اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ٢، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣١٤هـ.
- عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٩.
- عبد المنعم الجميعى :
  - الثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية بالأهرام.
  - الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية ، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٢.

- عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٠.

- محمد احمد خلف الله: عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٥٦.
- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، ج١، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٢.

خامسا: المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Blunt, W, S.: Secret History of the English Occupation of Egypt, London , 1907.
2- Broadley A.M.: How we Defended Arabi and his friends , A story of Egypt and the Egyptians, London, 1884.
3- Cromer, Earl of : Modern Egypt vol. 1, London , 1908.
4- Colvin A.: The Making of Modern Egypt , London, 1906.
5- Dicey, E: The Egypt of the Future, London , 1907.
6- Landau , J.: Parliaments and Parties in Egypt , New York, 1954.
7- Malet, E: Egypt 1879- 1883, London , 1909.
8- Newman: Great Britain in Egypt , London , 1928.
9- Ninet , John : Arabi Pacha – Egypt , 1880- 1883, Paris 1884.

سادسا: الدوريات:

الأستاذ نوفمبر ١٨٩٢   اللواء: أكتوبر ١٩٠١

المقطم : أكتوبر ١٩٠١   الهلال: سبتمبر ١٨٩٦

الوقائع المصرية: فبراير وسبتمبر وأكتوبر ١٨٨١، ويونيو ويوليو وسبتمبر ١٨٨٢.

الفصل الثالث

مذكرات قادة الثورة العرابية مصدرا تاريخيا

فـى أعقـاب انتهـاء الثـورة العرابيـة شـهدت حركـة كتابـة المـذكرات التاريخية ازدهارا واضحا رغم عدم تأصلها فى كتابات الزعماء وقادة الرأى المصريين قبل ذلك.

وترجع أهمية كتابة هذه المذكرات إلى أن معظم من كتبوها كانوا من قادة هذه الثورة الذين شاركوا فى أحداثها ثم أوضحوا وجهة نظرهم فى هذه الأحداث.

فقد كتب أحمد عرابى زعيم هذه الثورة وصانعها مذكراته المعنونة "كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية" عام ١٢٩٨ و ١٢٩٩ هجرية الموافق ١٨٨١ و ١٨٨٢ ميلادية.[١] وكتب محمود فهمى المهندس وزير الأشغال أثناء الثورة "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وإخبار الأوائل والأواخر". كما كتب أيضا ذكرياته بعنوان "أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية" وكتب عبد الله النديم ذكرياته وخواطره تحت عنوان "كان ويكون" التى روى فيها بعض أحداث الثورة وأحواله فى فترة الاختفاء، وكتب الشيخ محمد عبده "تاريخ أسباب الثورة العرابية" الذى تعرض فيه للثورة ورجالها.

---

[١] نشر مركز تاريخ مصر المعاصر بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق هذه المذكرات محققة لأول مرة فى ثلاثة مجلدات عام ٢٠٠٥م حيث قام الدكتور عبد المنعم الجميعى بتحقيقها وكتابة مقدمتها.

وهذا الفن الجديد من الكتابة التاريخية جاء نتيجة لمعرفة المصريين بالسياسة بمعناها الصحيح، واشتراكهم فى إحداثها، واضطلاعهم بمسئوليات قيادة الرأى العام لأول مرة. وفيما يلى نعرض لهذه المذكرات.

أولا: مذكرات الزعيم أحمد عرابى:

أنها فى الواقع أقرب إلى التقارير منها إلى المذكرات خاصة وأن شرط المذكرات أنها تصور الحادث وقت وقوعه والرأى عند تكوينه فى حين ان عرابى استعاد ذكريات حوادث الثورة العرابية بعد وقوعها بحوالى ربع قرن كما أنه فى أثناء كتابته كان متأثرا بالنتائج التى ترتبت على ما حدث لمصر من نتائج فى أعقاب انتكاسة الثورة. وإذا سمينا ما كتبه عرابى تجاوزا مذكرات نقول أن عنوانها ضخم ومثير وهو "كشف الستار عن سر الأسرار" والذى يقرأه لأول مرة يتصور أن عرابى سيكشف لقرائه الأسرار التى لا يعرفها أحد غير أن ماورد فى صفحاتها غير مطابق لمسماها ولا يوافق معناها فمن يتفحصها بشكل دقيق لا يجد أنها كشفت ستارا عن شئ غير معروف ولا أفشت أسرارا فى موضوعات لا يعرفها أحد وربما الذى دفع عرابى إلى اختيار ذلك الإسم هو طبيعته العسكرية التى تتوخى السرية والكتمان حتى فى أبسط الأمور، يضاف إلى ذلك أن ما كتبه عرابى لا يزيد عن ذكريات متزاحمة، وقائعها فى كثير من الأحيان غير منتظمة، ويرجع السبب فى ذلك إلى ما تعرض له عرابى فى سنواته الأخيرة من اضطراب، كما أن تقادم الأحداث فى ذاكراته جعلته يخلط بعضها بالآخر.

وأوراق هذه المذكرات المكونة من ٧١٣ صفحة من القطع الكبير وتضم كل صفحة حوالى ٣٤ سطرا وكل سطر يشمل حوالى ١٦ كلمة والمقسمة إلى جزئين[١]، والمحفوظة أصولها فى دار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة[٢]، تغطى فترة طويلة ومهمة من تاريخ مصر الحديث حيث تتطرق إلى عهود أربعة حكام من أسرة محمد على هم "سعيد باشا"، و"إسماعيل باشا"، و"الخديو توفيق"، و"الخديو عباس الثانى".

وقد قسم عرابى هذه الأوراق فى بعض الأحيان إلى أبواب عديدة، وقسم كل باب إلى عدة فصول[٣]، وأغلب الفصول ذات صفحات قليلة. فعلى سبيل المثال يتكون الباب الأول من ثمانية فصول، ولا تزيد عدد صفحات هذه الفصول جميعها عن ثمان صفحات ونصف صفحة أى بمعدل صفحة لكل فصل، وهو طابع غالب على مصنفى الكتب الدينية، ويبدو أن تأثر عرابى بثقافته الدينية قد دفعه إلى اتباع ذلك النمط من الكتابة، كما يظهر هذا واضحا فى عدة أمور مثل كتابته لكلمة "الصلاة" بالواو (الصلوة) كما هو خط المصحف.

ومما يؤخذ على هذا المخطوط أن عرابى لم يضع له خطة محددة قبل كتابته بل كان يكتب كل ما يرد فى ذهنه من موضوعات على سبيل تداعى

---

(١)يتوقف الجزء الأول عند صفحة ٢٦٧ ويستمر الجزء الثانى حتى ص ٧١٣.

(٢)دون عرابى مذكراته عن الثورة فى ثلاث كراسات كبيرة تكلم فيها عن حوادث الثورة جميعها، وقد حرص على كتابة ثلاث صور منها أحداها اهديت لدار الكتب المصرية ثم انتقلت إلى دار الوثائق،وهذه النسخة هى التى أتيح للباحثين الاطلاع عليها، والثانية والثالثة كانت لدى أولاده وهى صورة طبق الأصل من النسخة الأولى، وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قام أحد أبناء عرابى بإهداء مذكرات والده إلى اللواء محمد نجيب. ثم قامت دار الهلال بنشر أجزاء منها مع تصديرها بمقدمة للواء محمد نجيب. أنظر محمود الخفيف: أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، جـ٢، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧١، ص ٣٥٨.

(٣)توقف عرابى عند نهاية الباب الخامس عن ترتيب الأبواب والفصول وإن كان قد وضع كلمة فصل فوق بعض العناوين دون أن يحدد رقمه. وحرصا على استقامة نظام المخطوط فقد قمنا بترقيم الأبواب والفصول التى تركها عرابى.

الذاكرة، وإذا غابت عنه بعض المعلومات فى موضوع معين، وتذكرها بعد كتابته لموضوع آخر فإنه يكتبها فى صفحات أخرى متباعدة عن الموضوع الأصلى ثم يشير إلى ذلك استكمالا لعناصر الموضوع الذى تركه.[٤]

والمتصفح لما كتبه عرابى يتضح له أنه لم يكتب مخطوطه كله بخط يده بل أسهمت فى كتابته أكثر من يد اختلفت فى خطها رداءه وحسنا خاصة الأجزاء الأخيرة منه مما أفقد بعض الموضوعات تناغمها مع البعض الآخر، وأدى إلى تداخل بعض الحوادث فى بعضها البعض.

وحول الأسباب الرئيسية التى دفعت عرابى إلى كتابة مذكراته فقد أوضحها فى مقدمته لمخطوطه بقوله : "فانى قد أطلعت على كثير من الجرايد والتواريخ العربية والإفرنجية الموضوعة فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة، أو يشفى غليل الأمة، بل كل كاتب يذهب فى تدوين ما كتبه لترجيح مذهبه، ولو كان بعيدا عن الحقيقة بمراحل[٥]، ولذلك رأيت أن أكتب للناس كتابا يهتدون به إلى الحقيقة، تمحيصا للتاريخ، من درن الأهواء الفاسدة، والمفتريات الباطلة... قياما بالواجب على لأبناء وطنى الأعزاء، وبرا بهم، وتصحيحا للتاريخ وخدمة للإنسانية وبنيها".[٦]

---

(١)الأمثلة على ذلك متعددة أنظر صفحات ٧١، ٩٥، ١٠٨، ١٣٨، ٦٥٤، ٦٥٦ من المخطوط الأصلى.

(٢)قصد عرابى فى ذلك كتاب سليم النقاش "مصر للمصريين" حيث أوضح أن به الكثير من المغالطات والافتراءات واتهم صاحبه بأنه يخلط الحق بالباطل والصدق بالكذب على غير إرادة منه كما أوضح أن أقرب الروايات التاريخية فى ذكر الثورة العرابية هو كتاب المستر بلنت التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر.
Secret History of the English Occupation of Egypt.
وكتاب المستر برودلى "كيف دافعنا عن عرابى وصحبه".
How we Defended Arabi and his Friends.

(٣)مقدمة المخطوط، جـ١، ص ٢.

وإلى جانب ذلك فقد ذكر عرابى أن الدافع الأكبر وراء تأليفه لكتابه هو وجود الكثير من الأسرار عن الثورة التى لا يعرفها غيره، لذلك رغب فى إظهارها للناس قبل وفاته قياما بالواجب عليه لأبناء وطنه.(٧)

ومعنى ذلك أن الكتابات المتحاملة على عرابى وثورته هى التى دفعته إلى تأليف كتابه، كما أن رغبته فى الإفصاح عما فى نفسه من أسرار، كانت مشجعا له على ذلك.

والسؤال هو لماذا تأخر عرابى فى تأليف كتابه لأكثر من ربع قرن بعد قيام ثورته؟ الواقع أن عرابى كان يفكر فى وضع كتاب عن الثورة العرابية قبل ذلك التاريخ، ويؤكد ذلك أنه أرسل إلى محاميه المستر "برودلى Broadley" فى عام ١٩٠٤ يطلب منه إمداده بالوثائق والأوراق التى كان قد سلمها إليها خلال دفاعه عنه، كما طلب منه السماح له بترجمة كتابه How we Defended Arabi وذلك كما يذكر إيضاحا للتاريخ وتبيانا للحقيقة.(٨)

ومع أن "برودلى" قد وافق على ترجمة كتابه فإنه لم يرسل لعرابى الأوراق الخاصة به بدليل وجودها بدار الوثائق محفوظة بترتيب برودلى لها، ومما يؤكد ذلك أيضا أن عرابى كرر محاولته حيث أرسل ابنه إلى "برودلى" فى عام ١٩٠٧ يطلب منه الأوراق المتعلقة بوالده بخصوص الثورة العرابية وذلك لرغبته فى إعداد كتاب عن تلك الفترة، ولما لم يتيسر لعرابى الحصول على هذه الأوراق بدأ يعد العدة للقيام بهذه المهمة معتمدا على ذاكراته وعلى

---

(٤)المخطوط ، جـ١، ص ٣٣.

(1)A.M. Broadley: The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha, No 697 Arabi to Broadley 15 November, 1907.

الأوراق والمؤلفات الموجودة لديه والتى برز منها كتاب "مصر للمصريين" لسليم النقاش الذى اعتمد عليه عرابى اعتمادا كبيرا وقد نص على ذلك فى البعض من صفحات كتابه كشف الستار(٩)، كما اعتمد عرابى أيضا على الصحف عند التعرض للقوانين(١٠)، وعلى الذاكرة فى بعض الأحيان.

ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن عرابى خلط بعض الحوادث بالبعض الآخر، كما أن بعض المعلومات غفلت عليه، ولعل الفترة الزمنية الطويلة التى تناولها، وما تعرض له من هوان بعد هزيمة كانا السبب فى ذلك يضاف إلى ذلك أنه نسب لنفسه أشياء لم يفعلها.

وحول أسلوب المخطوط، فقد شابته بعض العبارات التركية التى كانت سائدة فى عصره فى المسميات الإدارية، والرتب، والعسكرية، وأسماء البلدان، وما شابه ذلك والتى نذكر منها على سبيل المثال كلمات الروزنامة، وتعنى بيت المال، ونظارة، وتعنى وزارة، والجهادية، وتعنى الحربية، والنافعة، وتعنى نظارة الأشغال مضافا إليها الزراعة، والحقانية، وتعنى العدل. والدواوين، وتعنى الإدارات والمصالح الحكومية. والقومسيون، وتعنى اللجنة. ودولتلو، وتعنى صاحب الدولة، وسعادتلو، وتعنى صاحب السعادة، والمابين الهمايونى، وتعنى المعية السلطانية، ومهر دار الخديو، وتعنى باشكاتب الخديو، والمستحفظين، وتعنى الحجز. والضبطية، وتعنى الشرطة، والرقيم، وتعنى المؤرخ، واستنطاق، بمعنى استجواب. وصاغقول اغاسى، بمعنى قائد فرقة.

---

(٢)انظر على سبيل المثال صفحات ٣٤، ٣٩٠، ٦٣٩.
(٣)المخطوط، جـ١، ص ١٥٤.

أما عن الموضوعات التى تطرق إليها عرابى فى هذا المخطوط فقد تناول نسبه، ونشأته، والتحاقه بسلك العسكرية فى عهد سعيد باشا، وترقيته من تحت السلاح حتى وصل إلى رتبة القائمقام، ثم تغير أحواله فى عهد إسماعيل، خاصة وأنه واجه مظالم كثيرة لدرجة أنه رفت من الخدمة لوشاية فى حقه وعودته إليها بعد ذلك، واشتراكه فى الحملة الحبشية التى بدأتها مصر فى عام ١٨٧٥ وسرده للمآسى التى تعرض لها الجيش المصرى خلال هذه الحملة وانتقاده لاسماعيل باشا وعصره نقدا شديدا.

وتعرض عرابى لعزل اسماعيل ، وتولية توفيق أريكة الخديوية المصرية، والفرمان السلطانى الخاص بذلك، وموقفه من الحركة الدستورية والأزمة المالية، وتسلط عثمان رفقى ناظر الجهادية على العنصر الوطنى، وتفضيله للشراكسة ، وقيام حادث قصر النيل فى فبراير ١٨٨١، وعزل عثمان رفقى، وتولية محمود سامى البارودى مكانه، ومحاولات عرابى تحسين أحوال الجيش عن طريق تقديمه مذكرة إلى ديوان الجهادية ، تدور بنودها حول زيادة المرتبات، وإصلاح أمور الجيش وما يطلبه الحزب الوطنى من الإصلاح بواسطة عرابى والدسائس التى حاكها الشراكسة ضده، وضد الضباط الوطنيين، وقيام عرابى بمظاهرة عابدين فى سبتمبر ١٨٨١، وعزل رياض باشا ، وتولية شريف رئاسة النظار، وإقرارها للقوانين العسكرية، ودعوتها لإنشاء مجلس للنواب، واتمام الانتخابات ووقوع الخلاف

بين النواب، والنظار، بشأن الميزانية، واستقالة شريف باشا، وتكليف محمود سامى البارودى بتشكيل نظارة جديدة ، كان عرابى ناظرا للجهادية فيها، وقيام المؤامرة الجركسية والاتصالات بين العرابيين والبرنس حليم والتدخل الأجنبى فى شئون مصر، وبعثة درويش باشا للنظر فى الخلاف بين الأمة والخديوى، ومذبحة الاسكندرية، ومؤتمر الاستانة وحريق الاسكندرية وضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية، والمعارك بين العرابيين والانجليز التى انتهت بالاحتلال الانجليزى لمصر، ومحاكمة العرابيين، وفى نهاية المخطوط يستعرض عرابى حياته فى المنفى وما تعرض له من متاعب حتى سمح له بالعودة إلى مصر فى عام ١٩٠١ بعد غياب دام تسعة عشر عاما وأربعة اشهر، ومحاولاته استرداد أملاكه المفقودة وفشله فى ذلك.

وحول تقييم هذا المخطوط فمن المسلم به أن عرابى حاول واجتهد خلال كتابته لهذا المخطوط حسب ثقافته وامكاناته حقيقة أنه اقتبس العديد من المعلومات من غيره- خاصة من سليم النقاش[١] فقد يلتمس له العذر فى ذلك خاصة وأن تأثير تقادم الأحداث التى شارك فيها على ذاكرته، وتجربته

---

(١)على الرغم من أن عرابى هاجم سليم النقاش لأنه كان يرى أن كتابه "مصر للمصريين" يحتوى على الكثير من الافتراءات خاصة وأن أعداء الثورة لفقوا التهم بالثورة وقائدها، والزموا النقاش بأن يخلط مفترياتهم وبهتانهم بالحقائق التاريخية وبذلك جاء كتابه مشوها فيه الغث والثمين والصدق والكذب. إلا أنه برغم كل ذلك فقد اعتمد عرابى على هذا الكتاب بصفة أساسية أثناء كتابته لمخطوطه لدرجة أنه نقل منه صفحات كاملة وعديدة، وموضوعات بذات عناوينها دون أن يغير لفظا أو يبدل معنى. وقد أشار عرابى إلى ذلك فى قليل من الأحيان كما أنه لم يشر فى أحيان أخرى كثيرة والجدير بالذكر أن من يتفحص ما كتبه عرابى ويقارنه بما كتبه النقاش يجد أن عرابى خلال نقله منه أحيانا لا تعجبه كلمة أو جملة فيقوم بعد كتابتها بشطبها ويكتب فوقها ما يوافق هواه أو يتناسب مع رأيه وعلى سبيل المثال نذكر أنه خلال مظاهرة عابدين نقل عرابى من النقاش أن الخديو اجتمع بضباط وعساكر آلاى الحرس بعابدين ونصحهم بألا يقتدوا بأعمال الألايات الأخرى وأنهم أجابوه بقولهم (نحن فداه ولى نعمتنا) فقام عرابى بشطب هذه الإجابة بعد أن كتبها ووضع فوقها "أننا ذاهبون" مما يؤكد ما ذكرناه. وإلى جانب ذلك فقد نقل عرابى من كتاب النقاش المحاكمات الخاصة برؤساء الحركة الوطنية دون تغيير ولا تبديل كبير فى الألفاظ وان كان قد أضاف وجهة نظره تجاه البعض فى نهاية الاستجواب.

انظر: على سبيل المثال المخطوط صفحات ٣٤، ١٤٤، ٢١٤، ٣٣٣، ٤٦٤، ٦٣٩.

الأولى فى ميدان الكتابة والتأليف قد تجنبه المحاسبة على منهجه أو طريقته فى الكتابة وخاصة وأنه أدخل فى مخطوطه موضوعات لا تنتمى للمذكرات بأية صفة.

يضاف إلى ذلك فإن ما كتبه عرابى يعد مصدرا مهما من مصادر الثورة العرابية، خاصة وأنه قدم فى معظم ما كتبه رؤيته الشخصية لحوادث عاصرها، وكان على رأس المشاركين فيها هذا إلى جانب أن ما كتبه يشرح قصة مصر والمصريين الذين التفوا حوله خلال مواجهته لأعداء الوطن، كما أنه يهدى شباب هذا الجيل سيرة هذا الزعيم المصرى الفلاح الذى آن للتاريخ أن ينصفه، وان يجد له مكانة بين قواد الحركة الوطنية البارزين.

وحول أهمية هذا المخطوط فى مجال الدراسة التاريخية فإنه كان درسا هاما فى دروس منهج البحث التاريخى الذى يؤكد على ضرورة مقارنة ما يكتب تحت عنوان "مذكرات أو ذكريات بالوثائق الأصلية"، والمصادر الرسمية حتى تستبين الحقائق دون أدنى شك أو مواربة.

ثانيا: مذكرات عبد الله النديم:

كتب عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية والرجل الثانى فى الثورة بعد عرابى مذكراته السياسية تحت عنوان "كان ويكون" أثناء فترة اختفائه من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩١ فى ثلاثة أجزاء. وقد طبع الجزء الأول من هذه المذكرات فى مطبعة المحروسة عام ١٨٩٢ فى ٢٥٦ صفحة. ويتضح لمن يقرأ الجزء الأول من الكتاب أنه ناقص من آخره إذ ينتهى عن جملة "فلا تكاد ترى" ثم تنقطع الكتابة عند هذا الحد، ويرجع ذلك من وجهة نظرنا إلى

أن هذا الكتاب كان يطبع على هيئة ملاحق توزع مع مجلة الأستاذ الذى كان يصدرها النديم، ولما أغلقت المجلة فى ١٨٩٣/٦/١٣ بناء على إصدار اللورد كرومر توقف استكمال طبع الكتاب، ولم تطبع الأربعة والستون صفحة الباقية منه كما يذكر صاحب "سلافة النديم".

وفى هذا الكتاب يحكى النديم عن أحواله فى المدة التى كان مختفيا فيها، ومذكراته عن الثورة العرابية كما يحكى عن صديقه الشيخ "سعيد الأزهرى" الذى وجد فيه معينا على امداده بالكتب والمراجع وما يحتاج إليه فى الكتابة[١٢]، وعن صديقه الفرنسى الذى طلب من النديم ألا يكشف عن اسمه[٢] الذى وجد فيه النديم مساعدا له فى وضع كتابه "كان ويكون"، حيث اتفقا على أن يوضع الكتاب على هيئة أسئلة وأجوبة فى المشكلات الدينية والخلافات السياسية بين الشرق والغرب على أن يقدم الفرنسى الأسئلة، ويجيب النديم عليها، وبعد ذلك يقوم النديم بسرد تاريخ مصر سردا مرسلا. وقد أخذ الفرنسى يزور النديم على فترات متقاربة، وكان يحضر زوجته أحيانا معه لتشترك فى المناقشة وتسهم فى المناقشة كما كان يحضر المناقشة أحيانا سعيد الأزهرى[١٣]، وكانت تطول المناقشة أحيانا، ويسهم كل منهم بآرائه وعندما تنتهى المقابلة يخلو النديم إلى نفسه، ويسجل ما دار من حديث ثم يعرضه عليهم قبل الخوض فى غيره.[١٤]

---

(١)انظر: كان ويكون، جـ١، ص ٢١٩.
(٢) رمز النديم إليه بالحرف (غ) بمعنى أنه من الغربيين.
(١)أشار النديم إليه بحرفى "سع" وهما كما يذكر نصف اسمه، كما أشار إلى زوجة الفرنسى بالرمز "ست" أى الست.
(٢)عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ص ١٤٠.

وعن الجزء الثانى من هذه المذكرات فإنه فقد مثل الكثير من مؤلفات النديم التى تعرضت للضياع، أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الدكتور محمد أحمد خلف الله مخطوطا فى دار الكتب فحققه، وقدم إليه بتمهيد عن حياة النديم، ومكانته وجهوده السياسية والأدبية ثم طبعه فى عام ١٩٥٦ تحت عنوان "عبد الله النديم ومذكراته السياسية".

وهذا الكتاب يشمل مذكرات النديم والدور الذى قام به خاصة عند قيام الثورة العرابية، كما يوجد به خمس رسائل من النديم إلى عرابى، وبعض الخطب والمقالات الخاصة بالنديم.

ثالثا: مذكرات محمود فهمى المهندس عن الثورة العرابية: [١٥]

لمحمود فهمى مذكرات فى ١١١ صفحة موجودة بدار الوثائق ضمن أوراق تحت عنوان "أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين " فيها وهى عبارة عن مذكرات محمود فهمى الخاصة بما شاهده أثناء ضرب الاسكندرية، والأعمال التى قام بها ومذكرة عن تسليم نفسه للانجليز، ومذكرة إلى الخديو يتنصل فيها من التبعات التى أخذت عليه، وتلغراف منه إلى عرابى يخبره فيها بالحالة الحربية وما وصلت إليه من سوء.

وإلى جانب ذلك فقد كتب محمود فهمى كتابا بعنوان "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر"،[١٦] تعرض فيه للثورة العرابية

---

(٣)تقلد منصب باشمهندس الاستحكامات المصرية،ووظيفة وزير الأشغال أثناء وزارة البارودى،وكان زميلا لعرابى فى منفاه لسيلان

(٤)طبع فى القاهرة بمطبعة بولاق فى ١٣١٢ هـ.

ووجهة نظره تجاهها. وترجع أهمية ما كتبه إلى أنه كان أحد شهود العيان الذين شاهدوا هذه الثورة واشتركوا فيها، وكان من رجالها البارزين.. ومع ذلك فينبغي الحذر فيما كتبه حيث يتضح من كتاباته تحامله الشديد على عرابى حتى وصل به الأمر إلى تجنبه على الحقائق التاريخية فأخذ يكيل لعرابى التهم، منها تكذيبه توكيل الأهالى لعرابى بأنه نائبا عن الأمة، واتهامه لعرابى بالخوف الدائم على نفسه[١٧]، وبأن مقصده الأساسى كان عزل الخديوى وحصوله على الخديوية مكانه، وتجنيه على الحقائق بأن الذين دعوا عرابى عند مغادرته القاهرة إلى رأس الوادى كانوا الغوغاء فقط، وإتهامه عرابى بأنه فر من التل الكبير وهو عريان.[١٨]

وترجع إتهامات محمود فهمى لعرابى إلى خصومة حدثت بينهما فى المنفى وبالرغم من ذلك فإن هذا الكتاب يعد من المراجع الهامة فى دراسة تاريخ الثورة العرابية مقدماتها وأحداثها ونتائجها، كما أن محمود فهمى كتب فيه ترجمة حياته وكتب مذكراته الشخصية عن زملائه من زعماء الثورة أثناء نفيهم فى جزيرة سيلان.

وخلاصة القول أن ما كتبه عبد الله النديم ومحمود فهمى يمكن أن نطلق عليه تجاوزا أنه اشبه ما يكون بالمذكرات مع أن الشروط التى يجب أن تنطبق على وصف بعض الكتابات بالمذكرات لا تتوفر كلها فى هذه الكتابات فشرط المذكرات أنها تصور الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه[١٩]،

([١])البحر الزاخر، جـ١، ص ٢١٠.
([٢])نفسه، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٧.
([٣])محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، جـ١، ص ١٢.

ولكن ما كتبه النديم ومحمود فهمى كان بعد وقوع الأحداث فكانت كتاباتهما معبرة عن حالتهما وقت الكتابة لذلك يبدو من الصواب القول أن هذه الكتابات أقرب إلى التاريخ منها إلى المذكرات وإذا توخينا الدقة نقول أنها بين بين.[٢٠]

رابعا: مذكرات الشيخ محمد عبده:

بين الشيخ محمد عبده فى مذكراته التى نشرت تحت عنوان "آراء ومذكرات"[٢١]، أسباب هذه الثورة وحوادثها، ثم توقف فى سرد الأحداث عند مظاهرة عابدين. وقد أرجع محمد رشيد رضا تلميذ الأمام وكاتب سيرته ذلك إلى أن الخديوى "عباس الثانى" عندما رأى ما كتبه الشيخ محمد عبده عن مقدمات الثورة وأسبابها ساءت العلاقات بينهما وانتهت إلى المغاضبة الشديدة. ويعود السبب فى ذلك إلى أن الشيخ محمد عبده أرجع أسباب الثورة إلى إسراف الخديو إسماعيل وسوء إدارته للبلاد كما ألقى التبعة على ما وصلت إليه الأحوال إلى الخديو توفيق مباشرة.

ولما كانت الظروف غير مواتية لاتمام هذه المذكرات فقد أرجأ الشيخ محمد عبده استكمالها منتظرا سنوح الفرصة، ولكن الأجل قد وافاه قبل أن يتمها، ولما لم تظهر المذكرات إلى النور فقد قام محمد رشيد رضا بتلخيصها ونشرها ضمن الكتاب الذى قام بتأليفه عن تاريخ الشيخ محمد عبده.[٢٢]

وقد بدأ الشيخ محمد عبده مذكراته بوصف أحوال مصر عندما نزل الخديو إسماعيل عن العرش، وظروف تولية الخديو توفيق، كما أوضح أن

([٤]) نفســـه.
([٥]) نشرتها الدار القومية للطباعة تحت عنوان "آراء ومذكرات"- مذكرات عن الثورة العرابية.
([١]) انظر تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى أجزائه الثلاثة التى طبعتها مطبعة المنار.

النهضة الوطنية التى ظهرت فى مصر ترجع إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى وما لـه من أثـر علـى ازدهـار الصـحافة العربيـة وترقيـة أفكارهـا، فانطلقت الألسنة والأقلام بأفكار الأفغانى، ثم تحدث عن قلق ضباط الجيش من تـأخير رواتبهم ومهاجمتهم نظارة المالية عام ١٨٧٩ وأرجع ذلك إلى تشجيع الخديو لهذه الحركة. ثم تحدث عن سيرة إسماعيل باشا وتبذيره، وسوء أحوال البلاد، وسعى انجلترا وفرنسا لخلعه ثم انتقل إلى الحديث عن جمال الدين الأفغانى، وتأسيسه الحزب الوطنى، وما بينه وبين الأمير توفيق من محادثات فى هذا الأمر.

كما تحدث عن الخديو توفيق فذكر أنه لم يكن شرها ولا مسرفا مثل أبيه بل كان عفيفا رحيما، وكان لطلاب الاصلاح فيه آمال كبيرة حال دون تحقيقها ضعفه وسوء أفراد حاشيته الذين لا يقيمون وزنا لمصالح أهالى البلاد، ولما قدم القناصل الأدلة للخديو على خطورة جمال الدين الأفغانى نفاه من مصر مما كان له أكبر الأثر فى تحول القلوب عنه. ثم بين الشيخ محمد عبده ما حدث فى الجيش عندما قدم جماعة من الضباط عريضة إلى الخديو يطلبون فيها عزل ناظر الجهادية، كما تحدث عن ازدياد نفوذ الأجانب فى مصر خلال حكم توفيق، وأرجع أسباب قيام الثورة العرابية إلى ذلك، وأوضح أنه لم يكن راضيا عن حركة العسكريين فى بداية الأمر، لأنه كان يرى ضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم حتى تجبر الحكومة على السير فى طريق العدالة. ويتوقف الكتاب عند حادثة عابدين، وعزل وزارة رياض باشا وتولية شريف مكانه.

وتحليلا لما كتبه الشيخ محمد عبده يتضح لهجته الودية تجاه وزارة رياض، يضاف إلى ذلك أنه أظهر تحفظاته تجاه العرابيين وندد بهم فى أول الأمر لاعتقاده أن ما قام به عرابى كان يمثل خطورة على البلاد، وأن الثورة العسكرية ستؤدى إلى احتلال أجنبى يطيح باستقلال مصر وعلى أى حال فإن الشيخ محمد عبده أوضح وجهة نظره كأحد تلاميذ الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالإصلاح، وأنه كأحد شهود العيان الذين شاهدوا أحداث الثورة العرابية وشاركوا فى اتخاذ بعض القرارات الهامة يجب أن يوضع ما كتبه موضع الاعتبار.

وإلى جانب ذلك فهناك مذكرات شخصية كتبها بعض من عاصروا فترة الثورة العرابية مثل مذكرات "إبراهيم الهلباوى" الملونة بالهجوم على العرابيين، ومذكرات "مصطفى ياور" حاكم دنقلة أثناء الثورة العرابية والتى تحتوى على قدر كبير من الوقائع التى تتحدث عن السودان وعرابى باشا. وعلى أى حال فمع أن العديد من المؤرخين والباحثين يعطون هذه الكتابات أهمية خاصة، ويضعونها فى قائمة مصادرهم خاصة وأن كتابها أدوا أدوارا هامة على مسرح الأحداث، وسجلوا بأعمالهم صفحات مؤثرة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر.

الكتب والوثائق المصرية عام ٢٠٠٥

- سليم النقاش: مصر للمصريين، الاسكندرية، مطبعة المحروسة، ١٨٨٤.

- عبد الله النديم: كان ويكون. الجزء الأول، القاهرة، مطبعة المحروسة، ١٨٩٢.
- عبد المنعم الجميعي: عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي ١٩٨٠.
- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٣ أجزاء) القاهرة مطبعة المنار ١٩٠٨ ، ١٩١٠ ، ١٩٣١.
- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، جـ١ بحث في العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢-١٩٣٦، القاهرة- النهضة المصرية ١٩٥٢.
- محمد عبده (الامام) آراء ومذكرات عن الثورة العرابية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.
- محمود فهمي (المهندس): البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، جـ١، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٢هـ.

ثانيا: الأجنبيــة:

- Blunt , W,S : Secret History of the English Occupation of Egypt. London.
- Broadley , A.M: How we Defended Arabi and his Friends , A Story of Egypt and the Egyptians , London, 1884.
- The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha , 1882- 1902 (3 Vol).

الفصل الرابع

أبرز رجالات الثورة العرابية

١ ـ أحمد عرابى

(١٨٤١ـ ١٩١١م)

تنتمى أسرة أحمد عرابى إلى أصول عربية وفدت من العراق إلى مصر، فهو من ذرية الإمام على الرضا، ومنتهيا بنسبه إلى الامام الحسين رضى الله عنه وقد ولد أحمد عرابى فى قرية "هرية رزنة" بمديرية اللشرقية فى ٣١ مارس ١٨٤١ وتلقى تعليمه المبكر فى كتاب القرية ثم التحق بالأزهر وانخرط بعدها فى سلك العسكرية فى ديسمبر ١٨٤٥ بعد أن أمر سعيد باشا بانتظام ابناء العمد والمشايخ فى سلك الجندية. وقد ترقى عرابى فى مراتب الضباط سريعا فى عهد سعيد باشا حتى وصل الى رتبه القائمقام. وخلال تلك الفتره استطاع عرابى تكوين افكاره السياسية الأولى التى تنحصر فى ضرورة المساواة بين المصريين والشراكسه.

وبعد ان تولى اسماعيل باشا الحكم تعرض عرابى للعديد من المكائد والمظالم خاصة فى الضباط الشراكسة لدرجة أنه أحيل إلى وظيفة مدنية لفترة ولم تتم إعادته إلى صفوف الجهادية إلا خلال الاستعداد للحملة الحبشية فتم ارساله إلى الحبشة. وهناك شاهد الكوارث والهزائم التى تعرض لها الجيش المصرى نتيجة لعدم كفاية القادة الشراكسة. وازدادت الأزمات بعد تولية الخديو

توفيق الحكم فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ حتى جاوزت فى خطورتها وعواقبها ما حدث فى عهد ابيه مما دفع العسكريين والمدنيين إلى التفكير فى ضرورة انقاذ البلاد. وخلال تلك الفترة كان الخديو توفيق قد قرب عرابى اليه، فمنحه رتبة الأميرالاى، وجعله ياورا خديويا له، كما عينه اميرا على الآلاى الرابع بالعباسية إلا أن نفس عر ابى الثائره التى تعلقت بها آمال الضباط الوطنيين وقتذاك لم تقبل السكوت على تسلط عثمان رفقى ناظر الجهادية على أبناء مصر وتفضيله للأتراك الشراكسة عليهم، وبوجه خاص أنه منح الرتب والنياشين والوظائف الهامة للشراكسة فى الوقت الذى حرم منها المصريون. وطالب الضباط الوطنيون عرابى بالدفاع عن حقوقهم، واتفقوا على اختياره رئيسا لهم، فقام عرابى بكتابة عريضة إلى مصطفى باشا رياض رئيس مجلس النظار وضح فيها تعصب ناظر الجهادية الشركسى لبنى جنسه، واجحافه بحقوق الوطنيين وطالب فيها بعزله، وتعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواه والعدل بين الجميع.

وقد أصر عرابى على مطالبه بالرغم من تحذير رياض باشا لعرابى وصحبه من العواقب الخطيرة التى يمكن ان تترتب على تقديم هذه العريضة للخديو.

واعتبر الخديو تصرف عرابى تمردا، وأمر بالقبض عليه وعلى زملائه ومحاكمتهم أمام مجلس عسكرى. ونظرا لأن

القبض عليهم فى ثكناتهم قد يثير عليهم باقى الضباط، فقد تم استدراجهم إلى ديوان الجهادية. بحجة النظر فى خطة الاحتفال المزمع إقامته لزفاف الاميرة جميله هانم شقيقة الخديو. وفى الديوان انعقد المجلس العسكرى لمحاكمتهم، ولما تسرب الخبر للضباط الوطنيين اقتحموا قاعة المحاكمة، واطلقوا سراح الضباط المحتجزين بالقوة ثم انطلقوا إلى قصر عابدين مطالبين الخديو بعزل ناظر الجهادية، والنظر فى شكواهم. وأحس الخديو بخطورة الموقف، فرضخ للأمر الواقع وأمر بعزل عثمان رفقى، وبذلك نجح العرابيون فى فرض ارادتهم وتأكدت زعامة عرابى للجيش، وعمل عرابى على تحسين أحوال الضباط والجنود، فتقدم بمذكرة إلى ديوان الجهادية طالب فيها زيادة المرتبات، وإصلاح قانون الترقية، وتحسين نظام التغذية، وإرجاع بعض الضباط المفصولين إلى الخدمة. وقد وافق الخديو على هذه المذكرة وأمر بتشكيل لجنة للنظر فى إصلاح احوال العسكريين.

وخلال ذلك عمل عرابى على نشر افكاره بين طبقات الامه، وطالبهم بمساعدته على حفظ النظام والامن. ونظرا لتزايد الدسائس التى تحاك ضد العرابيين، ومحاولات رياض باشا رئيس النظار التخلص منهم اتخذ العرابيون موقف الحذر، كما طلب عرابى من أبناء الامة تفويضه فى الدفاع عن مصالحهم والمطالبة بحقوقهم حتى يمكنه الدعوة إلى تشكيل مجلس نيابى، واسقاط

وزارة رياض المستبدة وانهم إذا فوضوه فى ذلك فانه سيعمل كل ما يتعلق باحوال البلاد من الاصلاحات المطلوبة.

ولقى كلام عرابى آذانا صاغية من جميع المصريين فى شتى انحاء البلاد وتقدموا بعرائض التفويض له فى النيابة عنهم، وتضامنهم معه فى كل ما يقوم به من اصلاحات مما كان له اكبر الاثر فى تقوية العزائم واطلاق اسم المحضر الوطنى على هذه العرائض.

وساهم عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية بدور فعال فدعا الاهالى الى تأييد عرابى والالتفاف حوله حتى يتخلصوا من حياة الذل والاستعباد وألهب حماسهم بخطبه الوطنية.

وشعر عرابى بأن مركزه أصبح قويا بتفويض جماهير الشعب المصرى له، وتأييد زملائه الضباط فقرر القيام بمظاهرة وطنية يجتمع فيها أبناء الجيش والشعب معا، فكانت مظاهرة عابدين فى سبتمبر ١٨٨١م والتى وقف فيها عرابى أمام الخديو ممثلا للأمة المصرية كلها حيث قال له بعد أن سأله الخديو عن أسباب حضوره بالجيش إلى عابدين جئنا يا مولاى لنعرض عليك مطالب الأمة والجيش وكلها طلبات عادلة فقال الخديو "وما هى هذه الطلبات" فرد عرابى هى "إسقاط الوزارة المستبدة، وتشكيل مجلس نواب على النسق الاوربى، وزيادة عدد الجيش إلى القدر المعين فى الفرمانات السلطانية، والتصديق على القوانين

العسكرية السابق أمركم بوضعها"، "فقال الخديو" كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى واجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا" ولم يهتز عرابى من كلمات الخديوى ورد بكل قوة قائلا "لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا، فو الله الذى لا إله إل هو إننا لم نورث ولن نستعبد بعد اليوم" فتراجع الخديو إلى قصره بناء على نصيحة من معه وانتهى الأمر بقبول مطالب العرابيين فتم عزل رياض باشا وتولية محمد شريف باشا مكانه. أما بالنسبة لانشاء مجلس نواب، وزيادة عدد الجيش فقد رأى الخديوى ضرورة الرجوع إلى الباب العالى ووافق عرابى على ذلك.

وسار العرابيون من نصر إلى نصر وافتتح مجلس النواب، ونتيجة لحدوث خلاف بين النواب والنظار فى شأن الميزانية استقالت وزارة شريف، وكلف محمود سامى البارودى صديق العرابيين بتشكيل وزارة جديدة. وفى عهد وزارة البارودى تقلد عرابى وزارة الجهادية، وقام بتمصير الجيش، وإحالة عدد كبير من الضباط الشراكسه إلى الاستيداع، وأصدر العديد من القوانين فى صالح المصريين مما دفع الشراكسة إلى التآمر عليه وإنتهاء الامر بمحاكمتهم وصدور الأحكام بنفى أربعين منهم الى السودان.

ولم يرض الخديو على ذلك ورفض التصديق على هذه الأحكام مما اغضب العرابيين، وتأزمت الأمور بينهم وبينه. وانتهزت

انجلترا وفرنسا هذه الفرصة وأرسلت مذكرتهما المشتركة فى ٢٥مايو ١٨٨٢ تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى، وابعاد عرابى عن مصر وعلى الرغم من رفض الامة كلها للمذكرة فقد وافق عليها الخديو مما أدى إلى استقالة وزارة البارودى. وتحت ضغط العسكريين استمر عرابى على رأس وزارة الجهادية، وتعهد بالحفاظ على الأمن والنظام.

وبدأ الخديو وأنصاره التآمر لازاحة عرابى من مركز السلطة وذلك باحراجه باتهامه بعد القدرة على ضبط الأمن فى البلاد، ولتحقيق هذا الغرض تم تدبير مذبحة الأسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢.

وقد استغلت انجلترا حدوث المذبحة للتدخل عسكريا فى شئون مصر، وانتهزت فرصة قيام عرابى بتجديد بعض الطوابى وعمل الاصلاحات فى حصون الأسكندرية فقامت بضرب الاسكندرية بمدافع اسطولها فى يوليو ١٨٨٢ وعلى الرغم من صمود القوات المصرية فى مراكزها أمام قذائف الإسطول الإنجليزى فقد تم تخريب استحكامات المدينة، وهدم واحراق بعض مبانيها مما إضطر العرابيين إلى الإنسحاب من الأسكندرية إلى كفر الدوار، ورفضهم أوامر الخديوى بوقف الاستعدادات الحربية واعادة الحياة المدنية. ونتيجة لإتضاح موقف الخديو المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف الشعب ليعرض

عليهم الموقف، ويشاورهم فى أمر الحرب، فلبى الدعوة نحو من سبعين شخصا استقر رأيهم على لزوم الاستمرار فى اعداد التجهيزات الحربية، وعلى استدعاء النظار من الأسكندرية وضرورة حضور الخديو إلى القاهرة.

وفى أعقاب ذلك أصدر الخديو امرا بعزل عرابى. وردا على ذلك عقد عرابى مجلس عام فى ديوان الداخلية صدرت خلاله فتاوى من بعض المشايخ بمروق الخديوى لخيانته لدينه ووطنه وأمته وانحيازه للإنجليز.

وخلال ذلك لم يتمكن الانجليز من اقتحام استحكامات عرابى فى كفر الدوار لمناعتها واستبسال المصريين فاتجهت قواتهم لاحتلال منطقة القناة مما اضطر العرابيين إلى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية، وقد أخطأ عرابى فى اعتماده على دعوة ديلسبس بضمان حياد القناة ولم يستمتع لنصائح ضباطه بردمها، مما أدى إلى تغيير مجرى الحرب واحتلال الإنجليز للقناة، وهزيمة عرابى فى التل الكبير واضطراره إلى تسليم نفسه للقوات الانجليزية فى سبتمبر ١٨٨٢ فتم تقديمه وزملائه للمحاكمة وانتهى الأمر بنفى عرابى إلى جزيرة سيلان وتجريده من رتبه واملاكه.

وعلى الرغم من مصاعب النفى والإبتعاد عن الوطن فان عرابى لم ينس لحظات رحيله عنها فكتب بيانا يوضح فيه علاج مشاكل مصر والاصلاحات اللازمة لانتظام أحوالها.

واستمر عرابى فى منفاه بسيلان حتى تولى الخديوى عباس الثانى اريكة الخديوية فى مصر، واصدر أوامره بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى احداث الثورة العرابية فعاد عرابى إلى مصر ووصل إلى القاهرة فى سبتمبر ١٩٠١.

وعلى الرغم من ابتعاد عرابى عن وطنه تسعة عشر عاما فانه قوبل بعد عودته إليه بالهجوم من البعض فقد هاجمته جريدة اللواء واتهمه الزعيم مصطفى كامل بالضعف والجبن والتعمد فى إدخال الاحتلال إلى مصر ١٣ أكتوبر ١٩٠١ كما تعرض عرابى لنقد امير الشراء أحمد شوقى بقوله:.

صغار فى الذهاب وفى الاياب أهذا كل شأنك يا عرابى!!

ونظرا لتوتر أحوال عرابى الاقتصادية والضنك المالى الذى ألم به نتيجة لمصادرة أمواله فقد قدم العديد من الالتماسات إلى المسئولين يطلب فيها رد أمواله المصادرة ولكن مطالبه ذهبت ادراج الرياح حت توفاه الله فى ٢٢ سبتمبر ١٩١١م ودفن فى قرافة الامام الشافعى.

المصادر المخطوطة

- محافظ الثورة العرابية محفظة رقم (٨)
- احمد عرابى كشف الستار عن سر الأسرار (جزءان)
- Broadley: The Trial Exile and Pardon of Arabi Pacha. Vol II

المصادر والمراجع المطبوعة

- سليم النقاش: مصر للمصريين، جـ ٤
- عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى
- عبد المنعم الجميعى :
  - الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية
  - عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية
- ميخائيل شاروبيم: الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث جـ ٤
- Broadley: How we Defended Arabi and his friends.
- Cromer: Modern Egypt

الدوريات

الأستاذ: نوفمبر ١٨٩٢ – اللواء اكتوبر ١٩٠١

الوقائع المصرية فبراير ١٨٨١

٢ ـ عبد العال حلمى أبو حشيش(*)
(مارس ١٨١٩)

من زعماء العرابيين الذين كانت لهم أدوار مشهودة فى تاريخ الثورة وظل رفيقا لعرابى حتى نهايتها.

وقد دخل عبد العال حلمى الجيش فى عهد سعيد باشا، ورقى من تحت السلاح ولم ينال حظا كبيرا من التعليم الحربى. وقد تدرج فى الرتب العسكرية فى عهد اسماعيل، وعندما تولى توفيق الحكم رقاه إلى رتبه القائمقام وجعله قائدا للآلاى السودانى المعسكر فى طره، وبعد أن شكل على الروبى جمعية سرية فى الجيش للوقوف فى وجه مظالم الشراكسة الذين قاموا بتنزيل رتب وفصل بعض الضباط المصريين، انضم عبد العال حلمى إليها. وكان من الاصدقاء المقربين إلى أحمد عرابى، وعندما تزايدت ضغوط عثمان رفقى وزير الحربية الشركسى على الضباط المصريين وقيامه بإصدار أوامره بنقل عبد العال حلمى من الآلاى السودانى إلى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه وتعيين أحد الضباط الجراكسة مكانه، لجأ عبد العال حلمى وعلى فهمى وبعض الضباط إلى أحمد عرابى وهم فى حالة هياج شديد وتباحثوا معه فى الأمر اقسموا على الدفاع عن حقوقهم وكرامتهم واتفقوا على كتابة عريضة إلى مصطفى رياض باشا رئيس النظار يطالبون فيها بعزل ناظر الجهادية لتعصبه لبنى جنسه وإجحافه بحقوق الوطنيين كما طالبوا بان يكون ناظر الجهادية مصريا، ومع أن رياض باشا حذرهم من عواقب هذه

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

العريضة فقد صمم الضباط الثلاثة عليها، ولما عرض الأمر على مجلس النظار أصدر الخديو أمرا باعتقال الضباط الثلاثة واحالتهم إلى مجلس عسكرى بتهمة التمرد والعصيان، فدعى عبد العال وزميليه إلى ديوان وزارة الجهادية بقصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ بحجة الاستعداد لترتيب عملية الاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الخديو، وأخفى عنهم أمر المحاكمة.

ولم يكد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى يدخلون قصر النيل حتى أطاحت بهم شرازم الشراكسة يسبونهم وينزعون سلاحهم وقدموا للمحاكمة ولما علم الضابط محمد عبيد بذلك اقتحم مقر المحكمة وقام باطلاق سراحهم، وفى أعقاب ذلك ذهبوا مع جنودهم إلى قصر عابدين لإبلاغ الخديوى بما حدث وكرروا المناداة بمطالب الضباط وقد وافق الخديو على طلبهم ووافق على عزل عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى مكانه كما أعلن الخديو عدم وجود تمييز بين الضباط المصريين والشراكسة فى الجيش وزيادة مرتبات الضباط بهدف استرضائهم، ومع ذلك فقد ظل عبد العال متشددا فى مطالبه مندفعا لا يحتاط للعواقب فشكك فى نوايا الخديو تجاه الضباط الوطنيين وطالب بشغل الأماكن الخالية بآلايه بالعناصر الوطنية وقد صدق مجلس النظار على طلبه مما جعل الخديو يفكر فى التخلص منه.

ونتيجة لتأثر هيبة الخديو من هذا الحادث اتخذ أسلوب الدسائس للنيل من الضباط الوطنيين فاوعز إلى تابعيه باغراء جنود الآلاى السودانى على التمرد على ضباطهم، وتوجيه اتهامات ضد قائد الآلاى عبد العال حلمى، وتحريض الجنود على العصيان، وتحرير العرائض ضد العرابيين ولما

انكشفت المؤامرة وحوكم مدبريها دبرت محاولة أخرى لنقل عبد العال حلمى ففى ٣ فبراير ١٨٨٢ ، اكتشفت محاولة لدس السم فى اللبن لعبد العال حلمى، وبرزت شائعات ان هذه المؤامرة دبرت بمعرفة حاشية الخديو واعترف الجانى بجريمته وحكم عليه بالسجن وكوفئ عبد العال بالباشوية فى الترقيات العسكرية التى اعقبت تأليف وزارة البارودى، واتخذ العرابيون هذه الحادثة سببا لتهديد الخديو والتلويح بخلعه.

ولما عظم شأن العرابيين وخشى الخديوى خطرهم حاول تشتيت شملهم بأبعادهم عن القاهرة وكان من نصيب الآلاى السودانى الذى يقوده عبد العال السفر إلى السودان، ولكن العرابيين توقفوا عن إطاعة الأمر واضطربت الأحوال ونتيجة لشدة الضغط من الحكومة وكثرة الدسائس زحف عرابى فى مظاهرة إلى ميدان عابدين، شارك فيها عبد العال حلمى المظاهرة وقاد الآلاى الثالث المشاه بعد أن رفض قائد الآلاى محمد شوقى الاشتراك فى المسيرة، وذهب إلى ميدان عابدين مما أفشل فكرة تردد البعض فى عدم المشاركة، وعمل على تجنب انقسام الجيش إلى معسكرين ونجحت المظاهرة فى عزل وزارة رياض والموافقة على تولية شريف باشا وتحقيق مطالب العرابيين.

وقد اشترط شريف باشا لتولى الوزارة على العرابيين نقل بعض الآلايات إلى خارج القاهرة، ومنها آلاى عبد العال حلمى وحسما لتجنب الخلاف وافق الضباط على رحيل عبد العال بجنوده إلى دمياط وان ينتقل عرابى بالآلاى الرابع مشاه إلى رأس الوادى، فغادر عبد العال حلمى القاهرة

على رأس الآلاى السودانى إلى الحامية الجديدة بدمياط فى الرابع من أكتوبر ١٨٨١ وفاء لما أخذوا على أنفسهم بالابتعاد عن العاصمة، وقد جرى ذلك وسط مهرجان شعبى ومظاهرة سياسية فكان فى وداعه عرابى والبارودى وعبد الله النديم، وجمع كبير من الأهالى الذين أخذ بعضهم ينثر الرياحين والورود على رءوس العساكر وفى دمياط انفرد عبد العال حلمى بالسلطة فى المدينة بعدما أصر على طرد المحافظ "اسماعيل زهدى" من هناك.

ولما انكشفت مؤامرة الشراكسة ضد العرابيين بهدف تصفية الضباط المصريين وعلى رأسهم عرابى وعبد العال حلمى، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمتهم شارك فيها عبد العال حلمى وبعد أن رفض الخديو التصديق على قرارات هذه المحكمة وتأزم الموقف أرسلت انجلترا وفرنسا مذكرتهما المشتركة للمطالبة بمغادرة عرابى للبلاد وإلزام عبد العال حلمى وعلى فهمى وطلبه عصمت بيوتهم ولكن هذه المطالب لم تنفذ بالرغم من قبول الخديو لها.

وبعد سقوط وزارة البارودى قام الخديو باستدعاء كبار الضباط ومنهم عبد العال حلمى وأبلغهم بسقوط الوزارة وإحالة نظارة الجهادية عليه، وأنه يجب تنفيذ أوامره من الآن فصاعدا دون غيره، فكان رد عبد العال حلمى وبعض الضباط عليه بأنه يجب رفض المذكرة الانجليزية الفرنسية المشتركة التى وافق عليها الخديو أولا حتى يستطيعون تنفيذ أوامره.

وإلى جانب ذلك فقد حضر عبد العال حلمى اجتماعا بمنزل سلطان باشا بناء على تعليمات عرابى وفيه تم التشاور فى مسألة عزل الخديو وكان عبد العال حلمى من الموافقين على ذلك، وبعد أن أصدر الخديو أوامره بعزل

عرابى اعترض عبد العال حلمى على ذلك وتمسك ببقاء عرابى وندد بالخديو الذى يريد تسليم البلاد للانجليز وبيع البلاد لهم.

وعلى الرغم من تطورات الموقف فقد ظل عبد العال حلمى فى دمياط بعيدا عن الحرب ولم يشارك فى أى معارك ضد الانجليز حتى هزيمة التل الكبير. وبعد هزيمة التل الكبير طلب عرابى من عبد العال حلمى قائد دمياط التوجه إلى القاهرة وترتيب الجنود الموجودين بها فى نقط الدفاع ضد الانجليز ورد عليه عبد العال بأنه سيتحرك فورا إلى القاهرة ، ولكن مسيرة الحرب ونتائجها لم تمكنه من ذلك، وظل عبد العال حلمى يدعو للمقاومة حتى أرسل له الخديو إنذار بالتسليم وقد رفض عبد العال التسليم وأخذ فى الاستعداد للحرب ولكنه لم يجد بدا من قبول التسليم بعد استلام جميع الجنود المصريين وتهديد الحكومة له بالاعدام فأصدر أمره إلى ضباطه بتسليم أسلحتهم وحوكم ونفى ضمن الزعماء المتبقين وصحبته زوجته وثلاثة من أفراد أسرته فى منفاه حيث عاش هناك حياة رتيبه شديدة الملل ، ونتيجة لاصابته بحساسية شديدة فى صدره توفى فى مارس عام ١٨٩١ وكان لموته حزن عميق فى نفوس أصحابه إذ رأوا فى مصيره شبح مصيرهم وقد ذكر عرابى نبا وفاته بقوله "وفى سنة ١٣١٠هـ توفى إلى رحمة الله شهيد الوطنية والغربة عبد العال باشا حلمى ودفن فى قرافه قسم مردانه وضريحه مشهور يزار ".

المصادر:

- أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، محمود الخفيف ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.
- القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، لطيفة سالم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.
- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، ١٩٤٩.
- مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، مجموعة من المؤرخين، مركز الدراسات السياسية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١.
- كيف دافعنا عن عرابى وصحبه ، بردولى – ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٣- علـــى باشا فهمـــى(*)
(٢٠ نوفمبر ١٩١١)

من مواليد المنوفية، انضم للجيش كضـابط من تحت السلاح منذ عـام ١٨٥٥ مـع فتـرات انقطـاع متعـددة عمـل خلالهـا فـى وظـائف مدنيـة وخـدم بالحرس الخديوى الخاص فى عهد اسماعيل وتزوج من احدى حريم القصـر وشـارك فـى فض حركـة الضـباط امام وزارة الماليـة فـى ١٨ فبراير ١٨٧٩، فبعـد أن فشـل الخـديو فـى فـض المظـاهرة ولـم يسـتجب الضـباط المحـالين للاستيداع والمطالبين بصرف رواتبهم المتأخرة لنصائحه أمر باستخدام كتيبـة الحـرس الخـديوى التـى يقودهـا علـى فهمـى بمحاصـرة المتظـاهرين واطـلاق النيران عليهم، ومع أن على فهمى استجاب للأمر فانه طلب من جنوده أطلاق النار فى الهواء فقط للسيطرة على الموقف ونجح فى ذلك، وانضم علـى فهمـى إلـى الجمعيـة السـرية التـى أسسـها علـى الروبـى فـى أواخـر عصـر اسماعيل تعبيرا عن سخط الضباط الوطنيين على سيطرة الشراكسة على أمور الجيش، والمطالبة بفتح باب الترقى أمام الوطنيين والتخلص من حكم إسماعيل. وفـى عصـر الخديوى توفيق تم ترقية على باشا فهمى وتعيينـه يـاورا وقائدا للحـرس الخديوى الخاص، وعندما قامت الثورة العرابية تحمس لها وكان بمثابـة العقل المـدبر لعرابـى، كمـا كانـت لـه صـفحات بطولـة خـلال مسيرتها فاشـترك مـع عرابى وعبد العال حلمى فى تقديم عريضة إلى رياض باشا رئيس النظـار فـى يناير ١٨٨١ للمطالبة بوقف الظلم الواقع على الضباط المصـريين فـى الجيـش

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

وبان يكون وزير الحربية مصريا ونتيجة لذلك أصدر الخديو أمرا باعتقال الضباط الثلاثة بتهمة التمرد والعصيان فأحيل على فهمى مع زميليه إلى مجلس عسكرى لمحاكمتهم مما أدى إلى وقوع حادث قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ حيث قام الضابط محمد عبيد مع قواته باقتحام مقر المحكمة وإطلاق سراحهم وذهابهم إلى قصر عابدين لاطلاع الخديو على ما حدث وعرض مطالبهم عليه ومنها عزل عثمان رفقى، وإلغاء التمييز بين الضباط الوطنيين والشراكسة والذى انتهى بعزل عثمان رفقى من نظارة الحربية واسنادها إلى محمود سامى البارودى. وبعد أن اشتد عود الثورة وبرزت حاجتها إلى داعية من المدنيين لتوصيل أفكار العرابيين إلى عموم الشعب المصرى اتصل على فهمى بعبد الله النديم وطالبه بالدعوة للجيش علانية فاستجاب لذلك واصبح من أكبر دعاة العسكريين ومن أشد المتحمسين لهم ولأفكارهم. وعلى الرغم من ان على فهمى كان قائدا للحرس الخاص فى قصر عابدين ، وكان مسئولا عن الآلاى الأول المكلف بحراسة القصر فقد سحب عساكره وساند العرابيين فى موقفهم خلال المظاهرة الذى حدثت أمام قصر عابدين رغم محاولات الخديو استمالته لتنفيذ ما يصدر إليه من أوامر وبعد نجاح العرابيين فى تحقيق مطالبهم قام الضباط الشراكسة بالتآمر ضدهم، وبعد انكشاف امرهم شارك على فهمى فى المحكمة العسكرية التى شكلت لمحاكمتهم والتى أصدرت حكمها بتنزيل رتب أربعين ضابطا منهم وحرمانهم من الامتيازات العسكرية ونفيهم إلى السودان ونظرا للخلاف الذى حدث بين الخديو والعرابيين نتيجة لصدور هذه الأحكام واعتراضه عليها

وتدخل مجلس النواب لمعالجة الموقف قدم القنصلان الانجليزى والفرنسى مذكرة تطالب بمغادرة عرابى للبلاد، والزام على فهمى وعبد العال حلمى وطلبة عصمت بعدم مغادرة منازلهم ، ولكن هذه المذكرة لم تنفذ لرفض العرابيين لها والتفاف الأهالى حولهم رغم موافقة الخديو عليها، وبعد سقوط وزارة محمود سامى البارودى استدعى الخديوى احمد عرابى وعلى فهمى وكبار الضباط وأبلغهم بسقوط الوزارة واحالة نظارة الجهادية عليه وأنه يجب تنفيذ أوامره من الآن فصاعدا دون غيره فاجابه على فهمى وبعض الضباط بانهم لا يسمعون أوامره ما لم يرفض المذكرة الانجليزية الفرنسية المشتركة.

كما حضر على فهمى اجتماعا بعزل سلطان باشا رئيس مجلس النواب، وطالبوا بعزل الخديو ورفض المذكرة المشتركة لأنها تمس حقوق مصر. وبعد أن صدر أمر الخديوى توفيق بعزل عرابى اعترض على فهمى على ذلك فى المجلس العرفى موضحا أهمية بقاء عرابى للدفاع عن الوطن والدين وندد بالخديو الذى أراد تسليم البلاد للانجليز، وطالب بضرورة الاستمرار فى الحرب للدفاع عن الوطن والمقدسات وحفظ البلاد. وإلى جانب ذلك فقد شارك على فهمى فى أداء اليمين الذى لقنه الشيخ محمد عبده لكبار الضباط والقسم على المصحف بضرورة التكاتف لمحاربة الانجليز إذا فكروا فى غزو مصر وان من يخرج عن الصف يستحق قطع الرقبة وشق الصدر.

وبعد نشوب الحرب بين العرابيين والانجليز شارك على فهمى فى معركتى القصاصين الأولى والثانية حيث حضر من القاهرة ومعه آلاى المشاه الأول لشد أزر المقاتلين والمساعدة فى حفر الخنادق وأعمال

الاستحكامات، وتولى قيادة قلب القوات المهاجمة للعدو، وتقدمت قواته تحت نيران المدافع لمهاجمة الانجليز، وأبلى بلاء حسنا فى القتال وصمد لجهاد الأنجليز، وفى معركة القصاصين الثانية فى ٨ سبتمبر ١٨٨٢ تولى على فهمى القيادة وهاجم مواقع الانجليز فى معركة استمرت نحو ثلاث ساعات وثبت ثبات الأبطال إلى آخر المعركة التى كانت من أشد المعارك بين المصريين والانجليز حتى أصيب برصاصة فى ساقه فخسر الجيش المصرى باصابته خسارة كبيرة، وظل جريحا حتى أنتهت الثورة فكان قتاله البطولى فى معركة القصاصين موقفا مشرفا له وللثورة، كما كانت إصابته خسارة كبرى للجيش المصرى فى وقت كانت الحاجة إلى جهوده شديدة.

وفى أعقاب هزيمة الثورة العرابية تم اعتقال على فهمى وتقديمه للمحاكمة بتهمة التمرد والعصيان وحكم عليه بالاعدام وتجريده من رتبته العسكرية والقابه وعلامات الشرف الحائز عليها ومحو اسمه من دفاتر ضباط الجيش المصرى ومصادرة أملاكه ثم استبدال الحكم بالنفى المؤيد من القطر المصرى وملحقاته إلى سيلان مع تخصيص معاش لاعانته فى المنفى، على ان يتعهد بعدم العودة إلى مصر، ولو حدث وعاد إليها خلسة تطبق عليه عقوبة الاعدام بدون أى محاكمة. وقدم على فهمى قائمة بأسماء أفراد أسرته الذين سيصحبونه إلى منفاه، وهم حرمه وكريماته الثلاثة وخدمه، وأقام على فهمى فى كولومبو مع عرابى فى ظل حياة رتيبه شديدة الملل والمعاناة ثم انتقل معه إلى مدينة كندى مستسلما للأمر الواقع وتعاقبت السنون عليه وهناك اختلف مع عرابى، وحدث انشقاق بينهما فى ظل الظروف الصعبة التى

تعرضا لها وفترات اليأس التى صاحبتهما وخلال ذلك أصيب على فهمى بأمراض الدوزنتاريا وعسر الهضم وتضخم الطحال والكبد لذلك صرح طبيبه المعالج أن حالته الصحية فى اضمحلال ، وامتداد اقامته فى المنفى سيقضى على ما تبقى من حياته، ومع ذلك فان حاكم سيلان لم يستجب لذلك، وظل على فهمى منفيا بالجزيرة حتى صدر الأمر العالى فى ١١ يونيو ١٩٠١ بعفو الخديو عباس حلمى الثانى عنه فبارح الجزيرة فى ١٥ أغسطس ١٩٠١ ووصل إلى القاهرة فى أول سبتمبر، وانزوى فى منزله حوالى عشر سنوات منسيا بعيدا عن الناس حتى توفى بمنزله بالقاهرة فى ٢٠ نوفمبر ١٩١١.

مصادر الدراسة :

- **الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، ١٩٤٩.**
- **القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، لطيفة سالم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.**
- **عرابى ورفاقه فى جنة آدم ، لطيفة سالم ، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧.**
- **مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية الكسندرشولش، ترجمة رءوف عباس، دار الثقافة العربية، القاهرة. د.ت.**
- **كيف دافعنا عن عرابى وصحبه ، برودلى – ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.**

٤- الميرالاي محمد عبيد*
(١٣ سبتمبر ١٨٨٢)

ولد الميرالاي محمد عبيد في كفر الزيات و توفي وهو يقاتل الإنجليز في معركة التل الكبير في١٣سبتمبر ١٨٨٢, دخل الجيش جنديا صغيرا وأخذ يرتقي من درجة إلى درجة حتي أصبح ضابطا تحت السلاح و بجهوده وصل إلى مرتبة البكباشي في الالاى السودان عام ١٨٨٠ ثم عمل ضابطا بالالاي الاول (الاي الحرس الخديوي) قبل نشوب الثورة ونتيجة لأنه كان من المدافعين عن حقوق المصريين داخل الجيش وضع اسمه ضمن قائمة المغضوب عليهم في مايو ١٨٨٠ و دبرت ضده المؤامرات في الخفاء, فقرر وزير الحربية عثمان رفقي نقله مع بعض الضباط الوطنيين و منهم عبد العال حلمي من أماكنهم و إحلال ضباط شراكسة مكانهم ولم يكد محمد عبيد يسمع بذلك حتي ذهب مع عبد العال حلمي حكمدار الالاي السوداني إلى منزل أحمد عرابي يشكو له ما حدث و ما يدبره الشراكسة للمصريين, فملأت الحماسة نفس عرابي و ذهب لمقابلة رياض باشا رئيس مجلس النظار بوزارة الداخلية بصحبه زميليه عبد العال حلمي وعلى فهمي للمطالبة بعزل وزير الحربية عثمان رفقي لما ظهر منه من تعصب للشراكسة والإجحاف بحقوق الضباط الوطنيين في الجيش.

و لما بلغ الخديو الأمر طالب وزير الحربية بتشكيل مجلس عسكري لمحاكمة الضباط الثلاثة, ومعاقبتهم بأشد العقوبات و حتي لا يثير ذلك حفيظة الضباط المصريين , لجأ عثمان رفقي إلى حيلة غادرة وهي دعوتهم إلى

ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الإستعداد لحفل زفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديو توفيق, و لما أحس عرابي و زميلاه بأن هناك مكيدة تدبر لهم اتفقوا على تلبية الدعوة على أن يقوم بعض الضباط بمراقبة الحالة عن بعد وإستقصاء الأمر , و المبادره بإخبار إخوانهم بما يقع اذا اصابهم مكروه ولم يكد عرابي وزميلاه يدخلون قصر النيل حتي أحاطت بهم مجموعة من الشراكسة قاموا بنزع سيوفهم وإهانتهم و إدخالهم إلى قاعة السجن بمبني قصر النيل, إستعدادا لمحاكمتهم, وتقاذفت عليهم ألفاظ الشماته والسباب ووقف عليهم الحرس وبأيديهم السيوف وعين عثمان رفقى ثلاثة ضباط بدلا منهم على آلاياتهم الثلاثه و لما أبلغ محمد عبيد بما تم نادي جنده نداءه العسكري , فاحتشدوا وأمرهم بالسير إلى قصر النيل لإنقاذ عرابي , فإعترضه أحد كبار الضباط فلم يستمع محمد عبيد إليه , بل قام بإعتقاله في احدي حجرات القشلاق, ثم تحرك إلى قصر النيل وأحكم الهجوم عليه و إقتحم المكان الذي كانت ستنعقد فيه المحاكمة فلاذ عثمان رفقي بالهرب من إحدي النوافذ بصورة مخزية وهرب أعضاء

---

*عبد المنعم إبراهيم الجميعي , أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر بكلية الاداب جامعة الفيوم

المحكمة, وراح الجنود يبحثون عن الضباط الثلاثة و يحطمون الأبواب والنوافذ حتي عثرواعلىهم , ففك محمد عبيد قيودهم , وأطلق سراحهم في شجاعة منقطعة النظير وكان هذا اليوم المشهود أول وقائع الثورة العرابية وأول إنتصار لها حيث ذهب الضباط الثلاثة ومن ورائهم من أخرجوهم من

الاسر وعلى رأسهم محمد عبيد إلى قصر الخديو يسمعونه شكواهم و يطالبونه بعزل وزير الحربية فقام الخديو بعزل عثمان رفقي, وطلب إليهم أن يختاروا من يحل محله حتي لا يعودوا إلى الشكوى مرة أخرى فوقع إختيارهم على محمود سامى البارودى ووعدهم الخديو أن ينظر فى بقية مطالبهم فيما بعد وأن يعمل على إنصافهم كلما إقتضي الأمر ذلك.

إن أول ما يرتسم من شخصية محمد عبيد هو ذلك الموقف الشجاع خلال هذه الأحداث بالاضافة إلى وفائه و إخلاصه للثورة من بدايتها مما جعل عرابي و غيره من قادة الثورة يعرفون قدره, فتمت ترقيته الى رتبة قائمقام في وزارة البارودي, ثم إلى رتبة الأميرالاي بعد ذلك و ظل محمد عبيد محافظا على عهد الثورة وفياً لها في كافة المواقف التي تعرضت لها بعد ذلك, فعندما تربص بعض الشراكسة و أعوان الخديوي بعرابي وصحبه كان محمد عبيد حارسا أمينا لزعمائها شديد الإنفعال لهم والحريص على أمنهم وسلامتهم بعد أن إنتشرت الجاسوسية وأطلقت شباكها على العسكريين تتعقبهم فأخذ يراقب أعداء الثورة عندما يسكن الليل يفشل مخططاتهم حتي خافوا منه و تهددوه بالموت, وأثاروا الشائعات حول نقله من القاهره ودسوا عليه الدسائس في عمله, ووجهوا إليه التهم الباطلة , ولكن ذلك لم يهز ثقته بنفسه, و لم يتزعزع إيمانه بالقضية الوطنية ولا بزعامة عرابي.

وظل محمد عبيد سيفا باترا شديد الحماسة يلازم عرابي في جميع خطواته ويؤيده في كل مواقفه و مما يذكر أنه ذهب معه للقاء شريف باشا ليتعجلا إصدار الدستور, و كانت شقه الخلاف قد اتسعت بينهما نتيجة لمؤامرات

الإنجليز والقصر و لم يكد عرابي يتحدث في أمر الدستور ,حتي تطاول عليه شريف باشا وعنفه بشكل غير لائق فما كان من محمد عبيد إلا أن وقف وصاح قائلا (والله ان لم تصدر اللائحة لأقطعن رؤوس الحاضرين) مما أدي إلى توتر الموقف لولا تدخل عرابي في الوقت المناسب لتهدئة الأمور وإقناع شريف باشا بحسن نوايا محمد عبيد, و لما أصر شريف باشا على خروج عرابي بقواته من القاهرة إلى رأس الوادي بالشرقية, إعترض محمد عبيد على ذلك وإنتقد هذا الموقف ولكن عرابي أقنعه بالتريث في الأمر حتي تتم الموافقة على الدستور , فإقتنع محمد عبيد بذلك و سافر مع عرابي إلى رأس الوادي لوداعه و لما افتتح مجلس النواب في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ كان ذلك يوما مشهودا من أيام مصر التاريخية, حيث أعدت قاعة المجلس وإصطفت أورطه من الالاي الأول المشاه على جانبي الطريق بقيادة البكباشي محمد عبيد و معها موسيقاها العسكرية تصدح بالحان الفرح و الإبتهاج .

ولكن تطورات الاحداث أدت إلى تعكير هذه الأجواء ففي السابع والعشرين من مايو ١٨٨١ تم إجتماع العرابيين بمنزل سلطان باشا عقب التدخل الأجنبي السافر في شئون مصر ووصول المذكرة الإنجليزية الفرنسية المشتركة التي تطلب فيها الدولتان إخراج عرابي من مصر وإبعاد عبد العال حلمي وعلى فهمي إلى داخل البلاد, وأن تستقيل وزارة البارودي من الحكم ثار محمد عبيد على هذا التدخل في شئون مصر وإنتقد موافقة الخديوي على ذلك, و هدد بالويل والثبور و قد وصل الأمر إلى ذروته بعد ان ألقي عرابي

خطبه في النواب و ختمها بقوله من كان معنا فليقم, وحدثت ضجة كبيرة في المكان ووقف الضباط, و لكن معظم النواب والحضور من المدنيين لم يقفوا إمتثالا لطلب عرابي فهددهم الميرالاي محمد عبيد بالسيف ,ولكن ظلوا جالسين و لم ينفع تهديد محمد عبيد لهم .

ومع ذلك فقد ظل محمد عبيد مناصرا للعرابيين في كل مواقفهم , رغم مخاطر الأحداث المتلاحقة وعندما حدثت معركة التل الكبير في الثالث عشر من سبتمبر ١٨٨٢ وتمكن الانجليزمن الإستيلاء على الإستحكامات الأمامية, للعرابيين لم يرهب محمد عبيد الموقف كما أرهب بعض القادة الاخرين الذين فروا من ميدان المعركة بل صمد في هذه الموقعه و معه جنوده من السودانيين و كانوا حوالى ثلاثة ألاف وأدوا واجبهم في الدفاع عن مواقعهم و ظلوا يدافعون الانجليز ويقفون أمامهم بالمرصاد ,و قائدهم يحثهم على الثبات فلم يتزحزحوا رغم قوة نيران المدافع الإنجليزية المصوبة عليهم , و عدم تمكن بنادقهم من مقاومة هذه النيران حتي إستشهد معظمهم , و ظل محمد عبيد متمسكا بالمقاومة حتي استشهد و فاضت روحه إلى بارئها, و بذلك ختم حياته بصفحة مشرفة جعلته بحق آية البطولة في تاريخ الثورة العرابية. لقد استشهد محمد عبيد و لم يخلف ذرية, و ليس له قبر معروف مثل العديد من آلاف المصريين الذين استشهدوا في هذه المعركة.

مصادر الدراسة

- أحمد عرابي الزعيم المفتري عليه, محمود الخفيف , القاهرة٢٠٠٤
- الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزي ,عبد الرحمن الرافعي القاهرة ١٩٤٩
- صور من البطولات العربية و الأجنبية, حسين مؤنس, القاهرة ٢٠٠٠
- القوي الإجتماعية في الثورة العرابية, لطيفة سالم, القاهرة , الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١
- كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية, احمد عرابي دراسة و تحقيق عبد المنعم الجميعي , القاهرة ٢٠٠٥
- مائة عام على الثورة العرابية, مجموعة من المؤلفين مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٨١

٥ـ اللواء على باشا الروبى(*)
(١٩ سبتمبر ١٨٩١)

فلاح مصرى من مواليد قرية (دفنو) احدى قرى مركز إطسا بالفيوم . تعلم فى كتاب القرية فأجاد القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ، ولما بلغ الخامسة عشر من عمره التحق بالأزهر وقضى به عدة سنوات ثم انضم إلى صفوف الجيش فى عهد سعيد باشا ورقى من تحت السلاح إلى رتبه الملازم ثان، وتدرج فى الرتب العسكرية لكفاءته حتى وصل إلى رتبه البكباشى فى عهد الخديوى اسماعيل، وشارك فى الحملة التى وجهت إلى الحبشة عام ١٨٧٥ حيث عين رئيسا لفرع المهمات، وهناك تقابل مع عرابى الذى كان يشغل وقتها منصبا إداريا حيث عمل مديرا للنقل والحمل وهناك توطدت العلاقة بينهما، وأفصح كل منهما للآخر عن موقفه الوطنى، فانضم عرابى إلى الجمعية السرية التى أسسها على الروبى، وشارك فيها العديد من الضباط الوطنين بغرض التخلص من الطبقة الجركسية فى الجيش وفتح أبواب الترقى أمام الضباط الوطنيين والتخلص من الخديوى اسماعيل.

ولما نما خبر هذه الجمعية إلى الخديو وعرف مقاصدها السرية حاول استقطاب أعضائها عن طريق سياسة اللين فاستدعى ثلاثة من كبارها وهم أحمد عرابى وعلى الروبى وطلبه عصمت ، فلما مثلوا بين يديه وكشف أمرهم إعتذروا له موضحين ضياع حقوقهم الوطنية بعدم ترقيهم إلى المناصب العليا فى الجيش واحتكار الضباط الشراكسة لهذه المناصب، فوعد

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

ببحث الأمر ، وانعم على سبعين ضابطا وطنيا برتبة القائمقام وفى مقدمتهم عرابى وعلى الروبى.

وقد اتهم على الروبى بالاشتراك فى مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ التى سارت إلى مقر نظارة المالية للمطالبة بصرف مرتبات الضباط المفصولين المتأخرة، وتمت محاكمته مع احمد عرابى وآخرين، ولكن انتهت المحاكمة ببراءته، وفى أعقاب ذلك ناقش عرابى مع زميليه على الروبى ومحمد النادى فكرة خلع الخديو اسماعيل، ولكن أحدا لم يجرؤ على تولى قيادة الخطة، ثم ترك على الروبى وزارة الحربية وعين كبيرا لمعاونى وزارة الداخلية، ثم رئيسا لمجلس محكمة المنصورة ثم نقل رئيسا لمحكمة مصر. وعندما بدأت تباشير الثورة العرابية انضم على الروبى إليها، وعاد إلى صفوف الجيش، وأصبح من أشد المتحمسين للثورة، ومن أخلص رجالها، وكانت ثقة عرابى به كبيرة لدرجة ان اشركه فى العديد من الأمور المؤثرة فى مسيرة الثورة. وعندما عين عرابى وزيرا للحربية تمت ترقية على الروبى إلى رتبه اللواء وكان من النادر ان يحصل مصرى على هذه الرتبة حيث كانت الرتب العليا فى الجيش قاصرة على الأتراك والشراكسة، كما حصل على لقب الباشوية فى عهد وزارة محمود سامى البارودى . وبعد أن انشئت نظارة للسودان عين على الروبى وكيلا لها حيث لعب دورا مؤثرا فى إدارة شئون السودان المصرى بعد ظهور الدعوة المهدية، واتجاهها إلى العنف فكان أول وكيل وزارة للسودان فى تايخ مصر وخلال ذلك كان يجتمع مع الضباط ويشجعهم على التآزر والتكاتف.

وبعد أن تآمر الضباط الجراكسة على الثورة العرابية شكل عرابى مجلسا عسكريا لمحاكمة المتهمين من خمسة عشر عضوا كان برئاسة على الروبى، وعندما أسس عرابى المجلس العرفى لادارة دفة الحكم فى مصر بعدما قرر الخديوى توفيق الاستسلام للانجليز ومعه كبار الأعيان، اختار على الروبى من بين اعضائه وكان دوره هاما فيما صدر من قرارات وما اتخذ من اجراءات، وعندما تأزمت العلاقة بين العرابيين والخديو، وقيام الخديو باصدار أوامره بعزل عرابى هاجم على الروبى الخديوى فى اجتماع الجمعية العمومية للمجلس العرفى كما أوضح دور عرابى فى الدفاع عن الوطن وشرف الدين واتهم الخديو بانه يريد تسليم البلاد للانجليز وطالب بضرورة الاستمرار فى الاستعدادات العسكرية وخلال ذلك قرر المجتمعون بقاء عرابى فى منصبه وزيرا للحربية ، وتليت فتوى شرعية بمروق الخديوى عن الدين لانحيازه لاعداء الوطن، وإلى جانب ذلك فقد شارك على الروبى فى أداء القسم الذى تم فى قشلاق عابدين ولقنه الشيخ محمد عبده لكبار الضباط الذين اقسموا اليمين بأن يكونوا يدا واحدة ضد الخديو وان يقاوموا الانجليز إذا حدثت الحرب وقاموا بغزو مصر من يخالف ذلك يكون خرج من دينه ويستحق القتل.

وعندما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز عين عرابى اللواء على الروبى قائدا لمنطقة مريوط العسكرية ونتيجة لاصابة راشد باشا حسنى، وعلى باشا فهمى فى معركة القصاصين استدعى عرابى على الروبى لقيادة القوات المصرية برأس الوادى فى التل الكبير لثقته فيه وفى قدرته على إدارة

الحرب لانه كما يذكر " كان حائزا لأعظم الصفات الممدوحة التى لا يمكن القيام بحصرها " وحضر على الروبى إلى منطقة التل الكبير يوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ووضع خطة المعركة مع عرابى لينفذها مع حوالى خمسة وعشرين ألف مقاتل فى حين كان عدد القوات الانجليزية تزيد عن ٣٠ ألفا ولكن الوقت لم يسعفه حيث فاجأ الانجليز قواته بعد ساعات قليلة من وصوله مما جعله لم يتمكن من تنفيذ خطته وإعادة تنظيم قواته، يضاف إلى ذلك ان عناصر الخيانة فتحت صفوف الجيش المصرى للانجليز حيث لم ينفذ البعض كما يقول عرابى فى مذكراته أوامر على باشا الروبى، والواضح أنه كان من الصعب على أى قائد عسكرى ان ينظم قواته ضد أعداء تمكنوا من السيطرة على العديد من المواقع فى ظرف ساعات فقد حضر على الروبى عصر يوم ١٢ سبتمبر وكانت المعركة فجر ١٣ سبتمبر. ورغم أننا نقدر ظروف على الروبى إلا أنه يؤخذ عليه عدم صموده وهو قائد تلك المعركة بل كان ممن تركوا قواتهم بلا قيادة حقيقية وسافر إلى بلبيس دون أن يرتب خطط انسحاب جنوده الذين كان الانجليز يطاردونهم ، وفى بلبيس تقابل على الروبى مع عرابى الذى كان يحاول جمع فلول الجيش ومنع العدو من الوصول إلى القاهرة ولما كانت القوات الانجليزية تطارده اتجه مع على الروبى إلى القاهرة فى قطار، وذهب إلى مقر ديوان الداخلية بقصر النيل ودعا المجلس العرفى للحضور وعقد مجلس يضم القادة العسكريين واعيان القاهرة لأخبارهم بأمر الهزيمة ومشاورة أهل الرأى فيما يمكن فعله وبعد أن استعرضوا الأمور استقر الرأى على المقاومة وإجراء ترتيب نقط عسكرية

للدفاع عن القاهرة، ولكن الاستعدادات والذخيرة كانت لا تكفى للمقاومة فعادوا إلى المجلس العرفى وعرضوا عليه الموقف فتقرر الكف عن القتال والتسليم وتحرير عريضة إلى الخديو يلتمسون فيها العفو والاعتذار خاصة وان ما قام به عرابى كان دفاعا عن الوطن والدين وتشكيل وفد لتسليم هذه العريضة للخديو بالاسكندرية وكان على الروبى ضمن أعضاء هذا الوفد وسافر الوفد بقطار خاص إلى كفر الدوار فى طريقه إلى الاسكندرية وهناك تراجع بعض أفراده عن الذهاب إلى الخديو واتفق على الاكتفاء بذهاب رئيسه على مبارك واحمد بك السيوفى وعاد الباقى إلى القاهرة خشية القبض عليهم وعلى الرغم من أن الخديو أمر على الروبى بالحضور لمقابلته فقد عاد على الروبى إلى القاهرة خشية قبض رجالات الخديو عليه ومعاقبته وفى القاهرة وجد عرابى وبعض زملائه قد سلموا انفسهم للانجليز، وأن الانجليز واتباع الخديو استطاعوا السيطرة على زمام الأمور . فقام بتسليم نفسه وقدم إلى المحاكمة العسكرية حيث تمت محاكمته فى ثلاث جلسات، وكان موقفه شجاعا ومشرفا، فأجاب بصراحة على كل ما وجه إليه من تهم ، فاعلن مسئوليته عن جميع الأعمال التى شارك فيها أو قام بها ، ولم يلق أى لوم على زملائه فى الثورة كما رفض تقديم التماس بالعفو عنه إلى الخديو، فعندما سئل عن سبب ختمه على قرار المجلس العرفى برفض أوامر الخديو الخاصة بعزل عرابى ذكر ان الخديو كان محجورا عليه بطرف الانجليز وانه ختم على القرار برضائه لان استمرار المدافعة عن الوطن واستمرار التجهيزات لأجل إفشال خطط الانجليز الاستيلاء على البلاد أمر يفرضه الدين والواجب،

فحكم عليه بالنفى إلى منطقة مصوع بالسودان لمدة عشرين عاما وتجريدة من رتبه ونياشينه ، ولم يمض على نفيه عامان حتى اعتلت صحته، وضعف بصره ، فنقل إلى سواكن منفيا تحت الملاحظة، وكانت رداءة الطقس قد اثرت على صحته ففقد بصره ، ونظرا لضيق ذات اليد خلال فترة النفى طلب من أخيه أن يبيع له املاكه التى كانت بقريته بدفنو وتبلغ ثلاثمائة فدان ليستطيع العيش منها والأنفاق على نفسه خلال فترة نفيه ولكن لم يلبث الموت ان عاجله ، فتوفى فى سواكن يوم ١٩ سبتمبر ١٨٩١، ودفن فيها ، ولم تزل رفاته هناك حتى اليوم.

المصادر:

- محافظ الثورة العرابية محفظة رقم ١٣ ملف ٢٤٩.
- كيف دفاعنا عن عرابى وصحبه ، برولى – ترجمة عبد الحميد سليم ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧.
- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
- مذكرات عرابى، كشف الستار عن سر الأسرار، ٣ أجزاء تقديم ودراسة د. عبد المنعم الجميعى ، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٥.
- مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال فى مصر، الياس زاخوره ، القاهرة، ١٨٩٧.
- مصر للمصريين – أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ، الكسندر شولش – ترجمة رءوف عباس، دار الثقافة العربية، ١٩٨٣.

فهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمـــة	٣ ـ ٥
الفصل الأول: وقائع الثورة العرابية	٦ ـ ٧٧

- أحوال مصر قبيل قيام الثورة العرابية.
- حادث قصر النيل
- مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ ونتائجها.
- العرابيون ووزارة شريف باشا
- وزارة البارودى وانتصار الثورة
- مؤامرة الجراكسة
- العرابيون والتدخل الأجنبى.
- بعثة درويش باشا
- العرابيون ومذبحة الاسكندرية
- مؤتمر الآستانة
- ضرب الاسكندرية
- التعاطف الوطنى والاسلامى ضد الانجليز.
- معارك كفر الدوار
- منشور السلطان بعزل عرابى
- معركة التل الكبير
- محاولات الدفاع عن القاهرة والتسليم
- محاكمات العرابيين
- المنفيون فى سيلان

الموضوع	الصفحة
الفصل الثانى	٧٨ ـ ٩٦
المفاهيم الجديدة التى طرحها رجالات الثورة العرابية	
- مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين	
- العرابيون والوحدة الوطنية	
- العرابيون والديمقراطية	
- العرابيون والرأى العام	
- العرابيون وفكرة إقامة جمهورية	
- علاج مشاكل مصر كما رآها عرابى	
الفصل الثالث	٩٧ ـ ١١٢
- مذكرات قادة الثورة العرابية	
- مذكرات الزعيم أحمد عرابى	
- مذكرات عبد الله النديم	
- مذكرات محمود فهمى المهندس	
- مذكرات الشيخ محمد عبده	
الفصل الرابع	١١٣ ـ ١٤٤
أبرز رجالات الثورة العرابية	
- أحمد عرابى	
- عبد العال حلمى	
- على فهمى	
- محمد عبيد	
- على الروبى	
فهرست	١٤٥ ـ ١٤٦



رقم الإيداع
٢٠١١ / ١٦٢٢٠
دا ر الهانى للطباعة والنشر
٠٢٤٤٤٤٢٠٥٥